303

HARLEQUIN

روايات أحلام

أغلى وردة في العالم

ماريون لينوكس

www.elromancia.com
مرمورية

أغلى وردة في العالم

تماماً كما يحصل في الأحلام!
بيني روز فتاة فقيرة. جاءها يوماً أمير وسيم لينقذها من فقرها هذا ثم يطلب منها الزواج!
لكن هذا الزواج الملكي هو نوع من "زواج المصلحة". ذلك أن الأمير مضطر لأن يتخذ له زوجة غير مشكوك في طهارتها وذلك لمدة سنة فقط. كي لا يفقد مملكته فيصبح مشرداً بلا مأوى...
لم تستطع بيني أن ترفض مساعدته. فوافقت على أن تكون "الأميرة المؤقتة". إلا أن ما لم تكن تتوقعه هو أن تقع في غرام رجل لا يكن لها مشاعر الحب!

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 9953-15-153-9

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
A Royal Proposition
First published in Great Britain 2002
Harlequin Mills & Boon Limited
© Marion Lennox 2002
Translation © Dar El-Farasha - 2003
ISBN 9953 - 15 - 153 - 9

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: ٨٢٥٤/ ١١ هاتف/ فاكس: ٩٦١-١-٤٥٠٩٥٠- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

ماريون لينوكس

ولدت في إحدى المزارع في أوستراليا، وغادرتها فيما بعد... كتبت ماريون عدة روايات لسلسلتي «الروايات الطبية» و «الروايات العاطفية». استخدمت في بداياتها اسماً مختلفاً لكل نوع من الروايات. فإذا كنتم تملكون روايات قديمة سوف تجدون رواياتها موقعة باسم تريشا دايفيد.

بالإضافة إلى الكتابة والاهتمام بزوجها، تولي ماريون اهتمامها إلى أولادها، الكلاب، القطط، الدجاج وإلى الضيوف الذين تستقبلهم إلى مائدة العشاء. كما تعتني بالحديقة وبتنظيف المنزل، لكن هذان الاهتمامان يضيعان وقتها. أما السفر فقد وجدت فيه ماريون متعة لا تنتهي.

عندما كانت في سن المراهقة قيل لها إن لا فائدة ترجى من قراءة الروايات. والآن، أصبحت الروايات محوراً أساسياً في حياتها؛ فكتابة الروايات سمحت لها بالتنقل والسفر بصورة دائمة. وإذا كان هناك من نموذج للأشخاص الذين ينجحون في تحقيق أحلامهم فهو: ماريون لينوكس!

١ ـ وريث... ولكن!

ـ الستير، أعلم أنك وبيل تخطّطان للزواج، لكن لا بدّ من أن تتزوج بيني روز أولاً.

ساد الصمت، وبدت مرغريت هادئة تماماً وكأنما كانت تتحدّث لتوّها عن الطقس. إلا أنّ الستير وبيل حدّقا بها وكأنها القت قنبلة.

ـ ماذا تقولين؟

كان الستير صاحب السمو وأمير كاستالييه أول من حُلّت عقدة لسانه. أغمض عينيه السوداوين.. ماذا يجري الآن؟

لم يكن بحاجة لسماع اقتراحات أمه الجنونية خاصة وأن تفكيره مشغول بأشياء كثيرة أخرى.

إن لم تُحل مشكلة الارث فستواجه القرية مصيراً قاتماً. بعد شهور من السعي المضني، لم يعثر على طريقة لإنقاذها، فثروته لن تتمكن من إنقاذ المكان من مصيره المحتوم.

اليوم، توصّل إلى قرار نهائي. لقد استفاق عند الفجر وسأل عمّا قد يجنيه لقاء بيع المواشي. ثم استقرّ رأيه على الاتصال بخبراء المحاسبة لديه، لكنهم قالوا له إن المصارف لن تموّل هذا المشروع الذي يُعدّ مجازفة كبرى. وبيع الممتلكات أصبح أمراً لا بدّ منه.

ـ أتزوج فتاة أخرى؟ شيء مضحك وسخيف.

www.elromancia.com

- يا عزيزي، تريد أن تكون أميراً؟

كانت تمتحنه لترى ردة فعله، وحصلت على مبتغاها، عندما صاح: «لا»!

ثم التفت يحدّق من النافذة إلى جنائن القصر الخضراء ومنها إلى النهر وراءها. وردّد قائلاً: «لا!».

كان في صوته ثقة كبيرة وفي نبرته امتعاض حين تابع يقول: «كان من المفترض أن يرث «لويس» كل هذا وليس أنا».

نبّهت ابنها بالقول: «لويس مات يا عزيزي وأنا لن اتظاهر بالحزن والأسى، لأنه لو حصل على الأرث لما أحسن إدارة إمارته على الاطلاق...».

- الميراث كان من حقّه.

ردّت بسرعة حاسمة الموضوع: «لقد أضاع هذا الحق من يده. كان مبذّراً. ثم هو ميت الآن. واللقب لك والمسؤولية على عاتقك».

- لم أرغب في كلّ هذا.

- لكنه بمتناول يدك الآن.

ونقّلت نظرتها من ابنها إلى المرأة التي ستصبح كنّتها وكانت عيناها غارقتين في تفكير عميق فقالت: «يخيل لي أن بيل تحبّذ أن تمتلك هذا القصر وأن تكون أميرتك؛ أليس كذلك؟».

أجاب الستير باقتضاب: «الألقاب لا تهمّ بيل، مثلي أنا تماماً».

لم تكن مرغريت، مثل ابنها، واثقة من صحة هذا الكلام، بيد أنها تعمّدت ألاّ تُظهر على وجهها أي أثر للانفعال. قد لا يكون لهذه الإمارة الصغيرة دور فاعل على الساحة العالمية إلا انها مكان جميل يطيب العيش فيه.

قالت في قرارة نفسها: قد يروق المركز المرموق والثّراء في عيني

بيل ولكن على بيل اللجوء إلى طريق أخرى لإقناع الستير.

قالت أمه: «الستير، إن الناس هنا بحاجة إليك والشعب يعوّل عليك».

- سبق أن تحدثنا في هذا الموضوع.

- أجل يا عزيزي، لكنك لا تصغي إليّ. وإذا لم تقبل بالارث، فسوف تقسّم الأراضي وستزول الإمارة. وغالبيّة الناس الذين قضوا حياتهم هنا سوف يخسرون منازلهم، فستشتريها الشركات السياحية وتؤجّرها أثناء العطلات الأسبوعية».

صاح «الستير» بغضب وحنق: «لا!».

- بالطبع لا. لا يرغب أحد بحصول ذلك.

لقد أحرزت تقدّماً وأصابت الهدف. كلّ ما استطاعت رؤيته هو ظهره القويّ العضلات، لكنه كان خيْر معبّر عمّا بداخله. فهو تربّى على تحمل المسؤولية ومرغريت تأمل الآن أن يتقبّلها.

الستير شخص يفخر المرء به. فإلى حين ارتباطه ببيل مؤخراً كان يُعدّ الستير دي كاستالييه أحد أشهر العازبين في أوروبا، لا سيما وأنه من عائلة ملكية مرموقة.

كان وسيماً في عمر الاثنين والثلاثين وعلى الرغم من المأساة التي تعرّض لها في السابق. في الواقع، المسافة التي رسمها بينه وبين الآخرين منذ وفاة ليزا جعلته أكثر جاذبية في عيون النساء.

قالت مرغريت: «لمدة سنة فقط».

- ما هو الشيء الذي سيدوم لسنة فقط؟

سألها الستير بعد أن استدار ليقف إزاءها، عاقداً حاجبيه. ومضى يقول:

- يبدو وكأنك دبّرت الأمر كلّه وقمتِ بجميع الترتيبات.

www.eltomancia.com

قالت بلهجة دفاعية: «حسناً، لقد قمت بذلك. لا بدّ من أن يفكّر أحدنا بالمستقبل. لقد كنت منهمكاً للغاية في إعادة الامور إلى نصابها وتنظيم العمل حتى أنه لم يتسنّ لك الوقت لرؤية الوضع بمجمله. إذاً، لو تصغي إلي فقط...».

ـ كلي آذان صاغية.

لم تكن تطمح إلى أكثر من هذا، لكنّه لم يزل يحملق مشدوهاً وكلّ ما أمكنها فعله هو شرح الموضوع. فقالت له: «جميع مشاكلنا سببها تغير الوريث. فانغماس لويس في الملذات ازعج والده، فأدرج في الوصية جملة اضافية...».

ـ أني على علم بهذا.

طبعاً كان يعرف، فغالباً ما شكا لويس الأمر له وهذه الجملة أصبحت أساس مشاكله الآن.

قطّب الستير جبينه وهو يقول: «نصّت العبارة المضافة على أن يتزوج لويس بامرأة عفيفة لكي يحصل على الإرث».

ـ أجل.

حاولت مرغريت جاهدة ألاّ تنظر إلى بيل فما أوشكت على قوله لم يكن سهلاً. لقد أدرك الستير معنى الجملة المضافة، ولكن ماذا عن بيل؟ أضافت مرغريت: «ما كان باستطاعة عمّك أن يتنبأ بأن لويس سيموت بعد ثلاثة أشهر من وفاته هو. وهذا يضعنا في مأزق، لأن الشرط مفروض على أي شخص يرث اللقب، وهو يشملك أيضاً».

خيّم الصمت، ثم قطعه الستير بصوت رقيق إنّما ينم عن الخطر والتهديد أيضاً.

ـ على عكس ما يقوله المحامون، فإن بيل امرأة لا غبار عليها.

ـ كلا يا عزيزي، هي ليست كذلك وأنت تعرف هذا وإلاّ لما قضيت

كلّ هذا الوقت مع المحاسبين. أبناء عمّك مستعدّون للتحرك قضائياً لرؤية الأراضي تباع وتقسّم. وإذا تزوجت بيل هذا ما سيحدث تماماً.

ـ فقط لأنّ بيل تزوّجت من قبل...

والآن نظرت مرغريت إلى بيل جيداً وبلهجة أرقّ من ذي قبل قالت لها: «عذراً يا عزيزتي ولكن آن الوقت لنتكلّم بصراحة».

وأجابتها بيل: «هيّا تكلّمي».

كانت رفيقة الستير ترتدي فستاناً أسود أنيقاً وبدلاً من أن تظهر على وجهها امارات السخط والغضب، بدت حذرة تقيّم الوضع ببرودة أعصاب، عندما قالت: «هكذا إذاً، لستُ امرأة تتميّز بالطهر والعفّة. حسناً، لا تقلقي لشأني».

بلهجة دفاعية قالت مرغريت: «بل أقلق لشأنك يا عزيزتي فالأقرباء ينقبون عن الأخطاء. وحسب ما أعلم، كنت على علاقة بأحدهم...».

الامتعاض كسا وجه بيل الجميل لدى سماعها هذه الكلمات وقالت: «حدث هذا منذ عشر سنوات وليس له علاقة بالموضوع».

ـ يقول المحامون إن لهذا الأمر شأناً كبيراً، فهو يعني عدم حصول الستير على الميراث إذا تزوّجك.

علّق الستير بحدة: «إنه وضع سيء ولعين».

فقالت أمّه: «أجل يا عزيزي، الوضع سيء ولكن من الممكن مداراته».

ـ سوف أتزوج بيل.

ـ ولكن إذا انتظرت قليلاً....

ـ مهلاً لحظة.

قالت بيل هذا وقد نهضت من مقعدها واقتربت من الستير؛ عندها،

www.elromancia.com

عرفت والدته سبب انجذاب ابنها إليها.

لم يكن الوقوع في الحبّ مسألة أساسية بالنسبة إلى الستير، ليس بعد موت ليز. لكنه نادراً ما بقي وحيداً بدون رفقة فتاة جميلة. وبيل جميلة بكلّ تأكيد، بثيابها الرائعة وأناقتها وأنوثتها. كانت تتقن أيضاً ثلاث لغات، وهذه صفة مميّزة في تلك الإمارة الصغيرة. أمّا مهاراتها الاجتماعية فكانت مصقولة إلى حدّ الكمال. وربما سألت مرغريت نفسها مئة مرة كيف ستستطيع أن تتفق مع كنّة كهذه؟

إلا أنّ بيل لم تكن تفكّر في الزواج في تلك اللحظة، ليس في زواجها على الأقل.

وقالت برقّة: «أخبرينا عن خطّتك».

بذلت مرغريت جهداً كبيراً كي لا تزفر تنهيدة الارتياح، فاستراحت على أريكتها وأغمضت عينيها لبرهة وجيزة لكي تمنح نفسها فرصة لاستجماع أفكارها. ثم بدأت بالكلام: «بيني روز».

سألها الستير: «ومن هي بيني روز؟».

ـ المرأة التي عليك أن تتزوجها لمدة سنة.

***

سوّت بيني روز الحجر الأخير وأسرّت في نفسها: عظيم، انتهيت أخيراً.

أمضت طيلة فترة الصباح وهي تختار الحجارة التي ستكوّن أساس الحائط الذي تبنيه. كان عملاً مرضياً جداً وشعرت بالراحة، كما أحسّت أيضاً بحرارة الطقس الشديد. لقد انتصف النهار بدون أن تتنبه إلى الأمر. ووضعت يدها على وجهها المتّسخ لتمسح العرق عنه.

كانت تقوم بعمل ترغب فيه وتحبه. قد لا يروق لأحد القيام ببناء الجدران، لكنه عملها وهي تحبّه.

بيني روز! سمعت صوتاً يناديها، فرفعت نظرها لترى رئيسها يلوح لها بيديه من الجهة الأخرى للحائط. هل كان يذكّرها بموعد الغداء؟ أمر غريب. فمن غير عادة بيرت تذكير العاملين لديه بوقت الاستراحة. لكنها نهضت وهي تشعر بالامتنان.

ـ أنت مطلوبة.

قال لها هذا وأشار باتجاه القصر وأضاف: «من قبل ساكني القصر».

ـ ماذا؟

ـ سمعت ما قلته لك.

بدا بيرت متعجباً وحائراً، مثلها تماماً وتابع يقول: «خرج أحدهم للتوّ واستأذنني في السماح لك بالدخول إلى القصر. هيا بسرعة. ليس هناك أي التباس في الأمر».

ـ يريدونني أن أدخل؟

نظرت بيني روز إلى رئيسها غير مصدّقة، ثم حدّقت بسروالها القذر: «لماذا؟».

أجاب رئيسها بطول أناة: «بعثوا رسالة تفيد أنهم يريدون رؤيتك. هذا جلّ ما أعرف».

ـ يمكنهم رؤيتي إذا نظروا من نوافذهم.

قالت ذلك لرئيسها وابتسمت بملء فيها: «بهذه الطريقة لن ألطّخ بلاطهم الذي وطأه أسلافهم».

كان بيرت قلقاً وقد ظهر ذلك عليه: «لا أعرف ما يريدون ولا يسعني القول إن ذلك يعجبني. أتودين أن أصطحبك؟».

www.elromancia.com

صاح أحد العمّال: «أجل؛ خذيه معك يا بيني روز».

فريق عمل البناء بأجمعه كان مبهوراً بالتغيير المفاجيء في الأحداث وأوضح الرجال بالقول: «لعلّ الأمير الجديد قرّر أن يزيد عدد خليلاته».

أضاف آخر: «أو لعلّ تلك الأخرى ما اسمها؟ بيل؟ تظن أن صبيّنا بيني روز أجمل منها فعزمت على اقتلاع عينيها».

قال أحدهم مستفهماً: «كيف يعرفون أن بيني روز أجمل؟ نحن لا نراها سوى خمس دقائق كلّ صباح قبل أن يغطّيها الغبار».

قال الفتى الأول بعناد: «ومع ذلك فهي جميلة... إذا رآها الأمير خالية من الأوساخ...».

ـ في الواقع لم يرها... والدته رأتها.

قاطع بيرت المزاح وعيناه ما زالتا مضطربتين.

ـ لقد طلبوا أن يروك حقاً. تحدّثت إلى السيدة، أليس كذلك؟ ألم تقولي شيئاً أزعجها؟

ـ لا.

وصلت بيني روز إلى القصر مع البنائين الستة منذ ستة أسابيع. ولم تتوقف عن العمل منذ ذلك الوقت. فبعد سنين من الإهمال أوشكت أسوار المزرعة الشرقية أن تنهار وإذا لم ترمّم سريعاً ستهدم أيضاً الأسوار الشمالية والجنوبية.

ولهذا لم يكن لديها وقت للعلاقات الاجتماعية والاتصال الوحيد الذي جرى بينها وبين المالكين كان حديثاً مقتضباً مع سيدة القصر الكبيرة.

كانت مرغريت تتمشى خارجاً عندما التقت صدفة بشخص يصنّف الحجارة ويرتّبها.

ـ يا إلهي، إنها فتاة.

قالت المرأة ذلك مجفلة وضحكت بيني روز بينها وبين نفسها ثم رفعت قبعتها باحترام تاركة خصل شعرها تنحدر على كتفيها.

ـ أجل سيدتي.

سألتها المرأة ذاهلة: «أنت من فريق البنائين؟»

ابتسمت روز ومرة أخرى وافقتها الرأي: «هذا صحيح».

ـ ولم بحقّ الله أنت هنا؟

ـ أعمل مع أفضل البنائين في العالم.

ولم تخلُ لهجتها من الفخر وهي تتابع: «سأنال شهادة البناء، وعندما انتهي من التدريب يمكنني الذهاب إلى بلدي وأطلب عندئذ السعر الذي أريد».

ثم تطلعت بيني روز إلى القصر حيث تألقت الأبراج والشّرفات ولمعت عيناها الخضراوان بإعجاب وهي تتأمل هذا الجمال من حولها.

بقيت سيدة القصر لبعض الوقت وكأنها مهتمّة بعمل بيني روز وكانت أسئلتها اللطيفة أشبه بتحقيق دقيق ولكن ربما كان يحقّ لها أن تتعرف عن كثب إلى خلفية العاملين على أراضي ابنها. لم تفكّر بيني روز بالأمر أكثر، وحين ابتعدت المرأة أحسّت بأنها اكتسبت صديقة.

هل أخذت كلامها ومزاحها على محمل الجدّ؟ هل تقدم على طرد الفريق بسببها هي؟

ـ أتودين أن اصطحبك إلى الداخل؟

سألها بيرت ثانية، وقد انعكس قلقها في عينيه. ثم أضاف: «ليس لأنني اعتقد أن هناك داعياً لأن تقلقي لكن لا يمكنني التفكير بأي سبب يجعلهم يطلبون رؤيتك».

ـ استبعد أن يلقوا بي في الزنزانة لعصياني وتمردي.

www.elromancia.com

- هل تمردّت؟

- قليلاً فقط.

تأوّه وهو يقول: «حسناً، لا تفعلي ذلك الآن. ادخلي وتصرّفي باحترام وقولي اشياء لطيفة عن رئيسك فقط الذي هو أنا. اتذكرين؟».

لم تتوان بيني روز أبداً عن التصرّف بوقاحة وجرأة، وهزّ بيرت رأسه محذراً إياها بالقول: «اعرفي مقامك يا فتاة ولا تستفزي الأمير وتجعليه يضايقك. وافقي على كل شيء. يمكنني أن أتراجع لاحقاً».

- إذا لم أعد في غضون أسبوع، أدخل إلى البرج.

قالت هذا بمرح ولا مبالاة لم تكن تشعر بهما مطلقاً. ثم نظرت إلى هيئتها المتسخة وفكّرت بما سيواجهها وسألت: «أتقصد حقاً أن أذهب الآن؟».

قال بيرت بكآبة: «هذا ما يريده الارستقراطيون وهذا ما سيحصلون عليه».

اتجهت بيني روز نحو بوّابة القصر الرئيسية ووجدت البستانيّ بانتظارها. اجتازا الباحة حيث كان ينتظرهما كبير الخدم بدوره. ابتسم لها ببرودة، ثم تقدّمها إلى داخل البيت.

ويا له من بيت!

تطلّعت بيني روز حولها بإعجاب ورهبة بينما كان كبير الخدم يتقدمها من غرفة إلى أخرى. بالنسبة إلى شابة أوسترالية في السادسة والعشرين من عمرها، ما رأته كان جديداً ورائعاً بالفعل. وكادت تنسى أنها متوترة الأعصاب.

كانوا في انتظارها.

عرفتهم من منظرهم. مرغريت طبعاً التي تحدثت اليها في الحديقة وكانت ابتسامتها دافئة وتبعث على الارتياح. ثمّ كانت هناك

بيل. ومع أن الخبر لم يكن رسمياً، فقد سرت شائعة تقول إنها مخطوبة إلى الأمير. كانت جافة ولئيمة ولكنها جميلة للغاية.

وبالطبع كان هناك الستير دي كاستالييه... صاحب السمّو.

كان جذّاباً للغاية. وبابتسامة ساحرة تسلب الألباب نهض ليحييها.

لم يكن لدى بيني روز الوقت لإقامة صداقات مع الجنس الآخر إلا أنّ ضيق الوقت لم يمنعها من تقدير هذا الرجل الذي يستحقّ الإعجاب! كان طويل القامة، نحيلاً وقويّ العضلات... ولكنها سرعان ما ذكرت نفسها بأنها لم تعد مراهقة وأنها في السادسة والعشرين من عمرها وعلى عاتقها مسؤوليات كثيرة لا تسمح لها بأن تهتم بأي رجل، وعلى الأخص بأمير.

وبجهد جهيد أوقفت نفسها عن الاستغراق في أفكار في غير محلّها.

كان الأمير ينظر إليها وكأنه لم يكن يراها. وبيل تراقبها بطريقة ماكرة حذرة لم ترق لبيني روز. وكانت مرغريت الوحيدة التي تبتسم من قلبها. قالت لها: «بيني روز، كم تسرّني رؤيتك. هلاّ جلست؟».

أجلس؟ يا للهول! نظرت إلى الأريكة الصفراء المصنوعة من القماش المترف وكبحت رغبة قوية في الضحك.

- في الواقع... أخشى أن ألطخها.

قالت هذا ورمقها الستير بنظرة سريعة تعبّر عن تقديره إياها على مداراتها وحذرها. تابعت تقول:

- إن لم يكن هناك مانع يا سيدتي أفضّل الوقوف. وإن أخبرتني الآن ما تودين قوله سأنصرف قبل أن ينتشر الغبار في كل مكان.

- ولكننا بحاجة إلى أن نتعرف إليك.

قال الستير بصوت بدا وكأنه لم يصدّق ما كان يقول.

www.elromancia.com

هزّت بيني روز رأسها. كانت قد رفعت قبعتها قبل أن تدخل حتى أن خصلات شعرها تمايلت على كتفيها وتصاعد الغبار في الهواء. قالت: «لستم بحاجة أن تتعرّفوا إليّ، وليست ثيابي لائقة للتحادث معكم».

كانت فظة، لكنها لم تكن بوضع متكافىء مع الحاضرين، ولم يرق الأمر لها. كانت بيل تنظر إليها وكأنما تنظر إلى حشرة غريبة.

ـ للحظة واحدة فقط.

كان صوت الستير متوتراً ومنفعلاً فرمقته بنظرة متردّدة.

ـ بإمكان رئيسي أن يخبرك عني ما تريد.

لم يكن ردّها يبعث على التشجيع. وأضافت: «هل تنوون أن تتعرّفوا على كلّ أعضاء الفريق؟».

ـ كلا، لكن...

قال الستير بكآبة: «لا تربكيها أكثر من ذلك».

عيناه لم تبارحا وجه بيني روز. بدا لطيفاً، ومتوتراً إلى أقصى حدّ. صوته كان خفيضاً وجدّياً ورقيقاً وبدا وكأنه مهتم لأمرها.

ـ سأدخل صلب الموضوع مباشرة.

قال لها وهو يتكلّم بتأنٍ وكأنه يزن كل كلمة.

ـ ما تودّ أمي معرفته.. ما نودّ جميعنا معرفته هو إذا كنت تقبلين بي زوجاً أم لا.

للحظة طويلة، طويلة لم يتحرّك شيء أو أحد. حدّقت بهم فبدوا جميعاً جادّين.

ـ لا بدّ من أنكم تمزحون.

قالت أخيراً، وكان هذا أكثر ما استطاعت أن تتفوه به: «أقصد... أنت تمزح، صح؟».

ـ لست أمزح.

ازدادت نظرته توتراً وهو يقول: «هل أمزح بأمر بهذه الجدية؟».

تفرّست في وجهه وسألته: «هل قلت لنتزوج؟».

ـ بالضبط.

ـ إذن، إما أنك تضحك عليّ أو أصابك مسّ... وفي كلتا الحالتين لا أعتقد أنه يجدر بي البقاء.

رمقته بنظرة أخيرة غاضبة قبل أن تضيف: «سأغادر، هل تسمح لي؟».

لم تنتظر جواباً. خرجت من القصر من دون إلقاء نظرة إلى الخلف.

* * *

www.elromancia.com

٢ ـ أعرف كل شيء

عثر الأمير على بيني روز بعد ساعة، وقد تمّ إقناعها بالعودة إلى العمل. كانت تقوم بتصنيف الحجارة حين باغتها الستير من الخلف، حتّى أنّ قلبها توقّف عن الخفقان لبرهة. جاء صوته عذباً هادئاً وكأنّه لم يحدث شيء بينهما على الاطلاق. سألها:

ـ لم يدعونك بيني روز؟ لمَ لا يكتفون بمناداتك بيني أو حتى روز؟.

كان سؤالاً بريئاً بما فيه الكفاية، لكن الوضع اتسمّ بالغرابة والسخف إلى حدّ الضحك. التقطت انفاسها وحملقت فيه بغضب. والحقيقة أنّ قميصه المفتوح عند الرقبة وانسياب اشعة الشمس على صدره لم يسهّلا لها الأمر البتة. وقالت لنفسها: تباً! لا تسترسلي في هذه الأفكار.

قالت له بصراحة: «يقول بيرت إنه يجدر بي ألا أختلط مع الطبقة الاجتماعية الراقية بعد الآن. لقد أسمعتني طرفتك، فإذا كنت ترغب في شيء آخر، اسأل بيرت عنه. ارحل من هنا».

كانت قد رأت رئيسها ينهض واقفاً من المكان الذي كان يعمل فيه. في الواقع، حين أطلعته على ما جرى داخل القصر، لم يصدّق الأمر ومن ثم ثار غضبه. حينها قال لها: «إنها في نظرهم دعابة، من المؤسف أننا لسنا في انكلترا حيث يمكنني أن أتحدّث في هذا الشأن مع النقابة».

لكنهما ليسا في انكلترا بل في هذه الإمارة الصغيرة التي لا تطبّق على أرضها القوانين. وإن أراد بيرت إبقاء موظفيه في العمل، لزم عليه لجم نفسه والتزام الصمت. وها هو الآن يخاطب ألستير بالقول: «انظر، لا أعلم القوانين المرعية في بلدكم...».

ـ أتصور أن القوانين هنا تشبه القوانين عندكم تماماً. أنا لا أنوي أن أتزوج مرتين.

ازداد الأمر تعقيداً وبات خارجاً عن حدود المنطق والمعقول. فهبّ بيرت قائلاً: «ما نريده هنا هو سترة للمجانين. ألدى أحدكم واحدة؟».

ومن المدهش أن تكون بيني روز هي التي هبّت للدفاع عن الأمير. لقد أثّرت فيها إيماءته الأخيرة، فلسبب ما لم يبد كشخص يقوم باقتراحات غير لائقة اخلاقياً بل كرجل عاجز عن القيام بأي شيء. نهضت ونفضت ثيابها، ثمّ التقت عيناها بعيني ألستير وتشابكت النظرات.

قالت لرئيسها: «دعه يقول ما يشاء مع أنه يتفوّه بأشياء غير مفهومة وغير معقولة. لا ضير من الاستماع إليه».

طال الصمت، وفي السكون أحسّت بيني روز بأنّ الستير لم يكف عن النظر إلى وجهها.

أخيراً تكلم الستير قائلاً: «أنا جاد في ما أقول».

قال هذا وعيناه لم تزالا مثبّتتين على عينيها، وأضاف: «ليس لديّ خيار آخر: فإذا لم أتزوج سيدة عفيفة، سوف تتشرذم الممتلكات برمّتها».

قال له بيرت: «لا أفهم ما تقول».

أجاب الستير وقد أخذ منه التعب كلّ مأخذ: «هذه هي الشروط الموضوعة في وصية الأمير الراحل. إن لم أقدم على مثل هذا الزواج،

www.elromancia.com

سوف تباع الممتلكات، وما من طريقة تمكنني من شرائها. الله يعلم كم حاولت حل المسألة طوال الشهرين المنصرمين. ولكن من دون جدوى».

قطّب بيرت جبينه، إلا أنه لم يكن متفاجئاً كثيراً، فلقد تناهت إلى سمعه الأقاويل بهذا الشأن؛ سأله: «والقرية؟».

ـ هذا أصعب ما في الأمر، ولهذا تراني أفكّر بمثل هذا الزواج. إذ أنّ أكثر من مائة عائلة تقطن في أنحاء الامارة، وجميع المنازل التي تأوي هذه العائلات سوف تباع، وأبناء عمّي الذين ينتظرون بفارغ الصبر أن يحصلوا على الميراث يشترطون بيع هذه المنازل في المزاد العلني.

تنهّد وهو يبعد نظره عن القرية ليستقرّ على الفتاة الماثلة أمامه وتحدّث إليها مباشرة قائلاً: «إن لم أتمكّن من إنقاذ القرية، سوف تفرغ شوارعها من الناس شتاءً وتعجّ بالسياح الأثرياء والمتاجر الراقية صيفاً؛ فيضطر السكان المحليين إلى الرحيل والانتقال إلى مكان آخر. ولهذا أطلب منك يا بيني روز أن تتزوجيني إذا لم يكن لديك مانع».

طال الصمت أكثر وأكثر.

أخذت بيني روز تتفحصّه ملياً من رأسه حتى أخمص قدميه. لم تلحظ فقط شكله الوسيم بل ثيابه المتسخّة، من الواضح أنه لم يسمح له الوقت بتبديلها منذ خرج في الصباح وبدأ العمل مع مدير مزرعته.

وأخيراً، حان الوقت لتمعن النظر في الأرض التي كان يتحدّث عنها.

كانت بيني روز تقيم مع إحدى عائلات القرية ذات الجمال الأخاذ بأبنيتها المصنوعة من الحجارة الرملية والمطلّة على النهر الذي تنساب مياهه بهدوء. كان الستير محقاً: سوف يعرض السيّاح أسعاراً عالية

لشراء منازل أهل القرية؛ وإنْ لم يستطع تحمّل فكرة انتزاع البيوت من أهليها فهي تفهم السبب.

قالت أخيراً: «إنها فقرة خالية من أي منطق».

أومأ الستير برأسه موافقاً وقال: «أوافقك الرأي. لقد ضمّنها عمي في وصيّته لأن ابن عمي كان... طائشاً ومتهوّراً. وهذا الشرط جعل لويس يضرب عن الزواج نهائياً، ومن ثمّ وافته المنية بعد رحيل والده عن الدنيا بثلاثة أشهر فقط».

ـ إذاً، لِمَ لا تحذو حذو لويس فلا تتزوج مطلقاً؟

بدا حلاً منطقياً وسليماً. من المؤكد أنّ بيل الفاتنة سوف تقتنع بأن تكون عشيقة فقط، فهناك أموال طائلة مهددة بالضياع.

أجاب: «لا يمكنني أن أحصل على الإرث إلاّ إذا تزوجت».

ـ لكنّ لويس حصل على الارث.

هزّ الستير رأسه وبإرهاق وتعب شديدين قال: «لم يحصل لويس على الارث رسمياً، وشرع ابناء العم في إقامة دعوى قانونية لاستعادة الاملاك. وفاته أجهضت هذه الدعوى وفي نظر القانون فإني صاحب الممتلكات واللقب الآن، شرط أن أتزوج وألاّ أتبع خطوات لويس».

تدخّل بيرت قائلاً بسخرية: «... أليست بيل سيدة عفيفة؟».

بادر الستير إلى القول بسرعة: «بيل امرأة رائعة. ولكن ثمة ما يشوب ماضيها».

ـ يخيّل إليّ أنك مصيب.

لم ترق بيل للعمّال فعندما انهار جدار على أحد الرجال، شوهدت بيل واقفة خلف النافذة تراقب الحادث، لكنها لم تسأل أو تطمئن إلى حالة ستيف الصحية أو ترسل أحد الخدم للاستخبار عنه وتقديم

www.elromancia.com

المساعدة.

وموقفها هذا أشعل فتيل الكره والضغينة في القلوب...

وأضاف بيرت: «ما الذي يجعلك تعتقد أن بيني روز لا تختلف عنها؟ أعني في ما يختص بموضوع الطهر والعفة؟».

صاحت بيني روز التي صدمت لكلامه: «هلاّ تركنا عفّتي وطهارتي جانباً؟».

قال الستير بصوت مرهق تعب: «حسناً، هذه هي النقطة الجوهرية ولا يمكننا طرحها جانباً. الأمر أن والدتي..».

قاطعه بيرت قائلاً: «لا يفاجئني مطلقاً ضلوع أمك في الموضوع، فهي سيدة فاضلة».

عندما سمعت مرغريت بالحادث ذاته بعد يوم من وقوعه، ذعرت وقدّمت إلى ستيف كلّ ما يحتاج إليه من عون ووسائل الراحة، وقد كان شاكراً لها لما أولته إياه من عناية واهتمام، كما قدرّها زملاؤه لما قامت به من أجله.

قال لهما الستير: «والدتي معروفة ببعد نظرها. ففيما كنت أحاول إيجاد طريقة أنقذ بها ممتلكاتي، استهدت هي إلى الطريقة المنطقية الوحيدة وهي أن أتزوج بيني روز لمدة سنة».

- ولكن...

- كما قلت، إنه عرض عمل.

وبسط الستير يديه وتابع يقول: «أعرف أن الأمر يبدو تطفّلاً في شؤون الغير، لكنّ أمي تحرّت عن المحيط الذي نشأت فيه بيني روز، ووجدت أنها المرأة التي أنا بحاجة إليها».

توقّف عن الكلام قليلاً، ثم قال بنبرة رقيقة وهو يتحاشى النظر في عيني بيني روز: «تقول أمي أيضاً إن بيني روز تحتاج إلى المال».

لم يعد الأمر مسلياً بالنسبة إليها، واحمرّ وجه بيني روز ليصبح قانياً. تراجعت خطوة إلى الوراء، وقالت بحدة: «ظروفي لا تعنيك مطلقاً. كيف تجرؤ على التفوّه بمثل هذه الأمور؟».

إلا أنّ بيرت الذي كان ينظر إلى أحدهما تارة وإلى الآخر تارة أخرى، قال: «يبدو لي أن الحديث يتخذ منحىً شخصياً».

وردّتْ بعنف: «يبدو لي أن الحديث انتهى».

أومأ بيرت برأسه موافقاً وهو يقول: «معك حق، لكن الرجل مصيب في قوله؛ أنت مفلسة حالياً».

تغضّن وجه بيرت الذي لوّحته الشمس وبدا عليه وكأنه غيّر موقفه وبات مسلّماً بالأمر وراغباً فيه وهو يقول لها: «ربما الرجل على حق. هو واقع في مشكلة وبدأت الآن ألمس مدى جدّيتها. لا أقول إن الحلّ الذي يقدّمه سوف يكون ناجعاً ولكن لا ضير من الاستماع إلى ما يعرضه عليك».

ثم نظر إلى ساعته وأضاف: «حسناً؛ الساعة تشير إلى الثانية. سنتوّقف عن العمل عند الساعة الرابعة. ساعتئذٍ، تذهبين إلى القرية يا بيني روز وتغتسلين وترتدين ثياباً لائقة وأنت..».

والتفت إلى الستير قائلاً: «أنت تطلب يد سيدة للزواج، افعل ذلك كما ينبغي وبشكل لائق. ادعها مثلاً إلى العشاء».

حاولت بيني روز أن تقحم نفسها في الموضوع فقالت: «لا أريد..»،

لكن بيرت أسكتها بدوره وقال: «امنحي الرجل فرصة. يمكنك أن ترفضي طلبه في أي وقت تشائين وتنتهي من الأمر. لقد أقنعتني بالاستماع إليه والآن استمعي إليه بدورك».

حاولت مجدداً: «بيرت..».

www.elromancia.com

قاطعها قائلاً: «الجدال ممنوع».

التفت مجدداً إلى الستير وقال له: «والآن عد إلى قصرك وأنت يا فتاة استأنفي عملك وصنّفي الحجارة. لن يكون هناك حديث عن الزواج قبل هذه الليلة».

- بيرت، لا أستطيع الذهاب برفقة هذا الرجل.

أجابها بيرت وقد طفح الكيل: «بل تستطيعين. هذا هو الرجل الذي يدفع لنا المال يا فتاة وهو واقع في ورطة. بإمكانك أن تضعي مصلحة الفريق فوق كل مصلحة واعتبار وتصغي إليه بكلّ موضوعية. هذا كلّ ما أطلبه منك».

- وهذا كل ما أطلبه أنا أيضاً.

قال الستير ذلك وعيناه البنيتان شاخصتان على وجهها.

لا بدّ أنّ الرجل فقد صوابه!.

قال لها: «الساعة السادسة. تقيمين مع آل بيريكس؟ سوق أقلك من هناك».

- وكيف تعرف مكان إقامتي؟

- أعرف كلّ شيء عنك.

- إذاً تعرف ردّي مسبقاً على عرضك.

وهنا ثارت في وجهه وهي تردد وتقول: «لا ولا وألف لا».

- اسمعيني فقط.

- سوف أسمع ومن ثم سوف أقول لا.

* * *

٣ ـ عروس بمليون جنيه

الرجل الذي قام بزيارة بيني روز بعد أربع ساعات كان هو ذاته، ولكن مع اختلاف كبير.

فتحت السيدة بيريك الباب وهي ترتجف من شدة الانفعال، ولم تلمها بيني روز التي كانت تنتظر في المطبخ محاولة ألاّ ترتجف هي الأخرى. ولكن عندما دخل الستير، عرفت أن محاولاتها تلك ذهبت سدًى.

ارتدت بيني روز فستاناً ابيض، يكشف عن ذراعيها وكتفيها وسرّحت شعرها حتى أصبح لامعاً. لكنها لم تتزين بأي حلية.

أما الستير، فكان مرتدياً بذلة رسمية لا شك أنها كلّفت المال الكثير. أما خصل شعره السوداء فُسرّحت شكل أنيق، وفاحت رائحة عطره الثمين، فبدا رجلاً خبر الحياة بطولها وعرضها.

كان البريق في عيني الستير السوداوين خير دليل على استمتاعه بما يجري. ما إن رأته على هذا النحو حتى أدركت السبب الذي جعل بيل أو أي امرأة أخرى تسعى إليه.

قال لها: «تبدين جميلة».

ولاحت ابتسامة عريضة على وجهه بعد أن أدرك انزعاجها. كانت تبدو جميلة بالفعل، والستير أقرّ بهذا الأمر حين نظر إلى مظهرها

www.elromancia.com

البسيط. فالمال لا يُحدث فرقاً كبيراً عندما يتعلّق الأمر بالجمال الطبيعي. كان شعرها الكستنائي اللامع يتمايل على كتفيها وكان وجهها متوهجاً صحة ومرحاً.

مدّ الستير يده ليصافحها وشعرت به يجفل عندما لامست يده يدها الخشنة الملمس، لخشونة العمل الذي كانت تقوم به.

رأت ملامح وجهه تتبدّل وابتسامة شبه ساخرة تحوم على ثغره وقال بتمهّل: «هذا صحيح».

أخذ يتفحصّ أصابعها بطريقة جعلتها تحاول سحب يدها من بين يديه، لكنه شدّ على يدها واستمر في تفحصها مضيفاً: «ما قالته أمي عنك صحيح».

حالة إرباك تام داهمتها. فقالت وهي تسحب أصابعها بقوة من يده: «ليس لدي أدنى فكرة عمّا قالته والدتك، لكنها إذا قالت أن لا وقت لديّ للتفاهات، فهذه هي عين الحقيقة. لذلك هلا انتهينا من هذا العشاء ومن هذا الموضوع برمّته؟».

ـ يبدو أنكِ لا تتطلعين إليه بشوق ولهفة.

ـ تماماً.

ثم سألته رغماً عنها: «إلى أين سنذهب؟».

تغضنّ وجهه ثانية بتلك الابتسامة الجذابة وهو يجيبها برقة: «إلى مطعم بالطبع. فإلى أي مكان آخر يصطحب رجل امرأة ينوي طلب يدها؟».

مرّت عشرون دقيقة أمضتها بيني روز صامتة في سيارة الستير الفخمة. لم تدن في حياتها من مثل تلك السيارة. تذكّرت ثياب الستير الرثة التي كان يرتديها في الصباح، وشعرت بالاستياء. لا عجب أنّ يديها أثارتا اهتمامه، فهو لم يختبر العمل الشاق ولم يعرف ماذا يحلّ

بيديه من جرائه.

أمعنت النظر فيه حينما توقفت السيارة في مرآب المطعم، ورأته يلتفت هو الآخر ليمعن النظر فيها. التقت نظراتهما، فاحمّر وجهها وأشاحت بنظرها بعيداً.

سألها بحذر: «لا تحسنين النظر بي، أليس كذلك؟».

عضّت على شفتها وقالت بعد برهة: «لست هنا لألقي أحكاماً. أنا هنا لأن رئيسي طلب مني أن أكون هنا».

ـ وأن تتناولي عشاء شهياً؟

هنا أصاب الهدف. سلّمت بما قاله بكلّ طيبة خاطر. فأجابته وشفتاها تنفرجان لا شعورياً عن ابتسامة.

ـ حسناً... أنت مصيب.

ـ تقول والدتي إنك تعرفين ما معنى أن يكون المرء جائعاً.

قتلت هذه الكلمات كل ما يدفعها إلى الابتسام وعادت إلى الحملقة فيه.

قال لها بشيء من الحزن وهما يتوجهان نحو المطعم: «أخطأت في التعبير».

لم تنس بينت شفة. ركزت فقط على المكان المنطلقين إليه! لقد أفقدها توازنها ولم تعرف كيف تعالج الأمر.

رفعهما المصعد إلى السطح حيث يقع المطعم. رأت بيني روز المنظر وشهقت من شدة الفرح والدهشة.

يا له من مشهد رائع!

كانت السهول الذهبية المحيطة بالنهر تمتد تحتهما وعند منعطفات النهر، رأت قصوراً وحجارة كثيرة.

سألها الستير وهو يتأملها باهتمام.

www.elromancia.com

- ما الذي تفكرين فيه؟

اجابته: «أفكر في أنه لدي عمل في هذا البلد يستغرق العمر كله مني».

- ما الذي تقولينه!

تنهدت وقالت: «بناء الأسوار الحجرية. انظر إلى كل هذه الحجارة. جميع الجدران المتساقطة تنتظر من يعيد بناءها».

هزّ رأسه وقال: «لا يمكنني أن أصدّق هذا!».

- ما الذي لا يمكنك تصديقه؟

هو يخرج مع امرأة لتناول العشاء وهي تتحدث عن الحجارة فقال: «آه! الجدران الحجرية ما هي إلا جدران حجرية».

- يقال عنك إنك مهندس معماري جدير بالاحترام. هل هذا ما تعتقده حقاً؟

- أنا... لا.

انتابه الهول فهذه المرأة لا تشبه النساء اللواتي كان يخرج معهن.

- لم احسب انني سأتناول العشاء مع امرأة تنظر إلى الصخور بلهفة.

نظرت إليه بسخرية رقيقة وقالت: «بالطبع لا. لا بد أنك تستخدم الصخرة الخاطئة. هل جربت الماس؟».

نظر إليها بتعجب ودهشة. لا شك أنها كانت مختلفة عن باقي النساء.

ألقت بيني روز نظرة مطوّلة إلى الوادي ثم جالت بنظرها إلى ما يحيط بها في هذا المطعم الفخم. وقررت أنها لن تدع أي شيء يعترض استمتاعها بعشاء لذيذ.

وفهم ألستير ما يدور في ذهنها فقال لها بطريقة جافة: «يبدو أنك

تنوين الاستفادة من هذه الليلة قدر المستطاع».

احمر وجهها خجلاً وقالت: «آه، نعم».

- والسبب؟

- لأنه ما كان يجب أن أكون هنا. فلا أنوي الموافقة على طلب زواج مجنون ولكن كما قلت، أنا جائعة.

أخذ نفساً عميقاً وقال: «أتودين تناول البزاق؟».

- أرضى بأي شيء غير حساء اللفت.

قالت هذا وتلقت نظرة اخرى ملؤها الدهشة. أوضحت قائلة: «هذا هو الغذاء الرئيسي والوحيد لعائلة بيريك».

ثم هزت رأسها وهي تضيف: «كل ليلة يتناول السيد بيريك حساء اللفت، وكل ليلة عندما ينتهي من تناوله ينظر إلى زوجته ويقول لها إنه حساء لذيذ فتعيد الكرة في الليلة الثانية وإذا لم تفعل يخيب أمله».

ابتسمت وتابعت: «لهذا وافقت على تناول الطعام معك».

- بالرغم من عدم استحسانك لي؟

اتسعت ابتسامتها وقالت: «بالرغم من ذلك».

توقف عن الكلام ولكن كان لا بد عليه أن يسأل: «لماذا»؟.

- ماذا تقصد؟

- ما سبب عدم استحسانك لي؟

أجالبته بصراحة: «لأنك أمير وأنا فتاة عاملة. قصة سندريلا هي من قصص الخيال ولا تحدث في واقع الحياة».

- قد تحصل.

تساءلت بشيء من السخرية: «آه، حقاً؟».

وتابعت تقول: «لكن أمير سندريلا لم يطلب يدها لمدة سنة واحدة».

www.elromancia.com

فكّر الستير بالأمر ملياً ثم عبّر عن عدم موافقته على كلامها بلهجة اتّسمت ببعض الجدية.

- كان لحبيب سندريلا وقت محدّد أيضاً، وهو منتصف الليل. لذلك وجب عليه التصرّف بسرعة.

ثم تلاشت الابتسامة عن شفتيه وقال: «كما أفعل أنا الآن».

- إذا كنت تريد أن تصبح اميراً.

قال لها: «في الواقع لا أريد أن أكون أميراً».

اشتبكت نظراتهما من فوق الكأس وسألها: «هل تصدقين ما أقول؟».

ارتشفت قليلاً من العصير واتخذت القرار بعد برهة من التفكير قائلة: «لا».

كان عليه حملها على تصديقه.

فخاطبها بهدوء، مشيراً من خلال النافذة إلى المنازل المنتشرة على ضواحي النهر وقال: «عائلات كثيرة حياتها وقف على اختياري واختيارك أيضاً».

قالت بحدة والغضب يتملّكها فجأة: «لا تجرؤ وتحاول ابتزازي».

لانت تقاسيم وجهه وقال: «لا، لن أفعل. ولكن كما تقول والدتي احتياجاتنا متطابقة ولنا في الأمر مصلحة مشتركة».

حدّقت به مرة ثانية وقالت: «لا أفهم».

- إذا تزوجت بي لسنة واحدة تتوافر لديك الامكانيات المادية مدى الحياة.

- لست بحاجة لذلك.

لفت نظرها قائلاً: «بالكاد تستطيعين توفير لقمة عيشك. مايكل لا يزال في الصفوف الثانوية وهو يريد أن يصبح مهندساً. كيف ستتمكنين

من تأمين مصاريف الدراسة الجامعية لأخوتك الثلاثة؟».

وضعت كأس العصير على الطاولة بكلّ تأن وقالت: «لقد تدخلت في شؤوني الشخصية».

- قامت والدتي بهذا الأمر من أجلي.

عيناه الهادئتان التقتا بعينيها، وامتدت يداه على الطاولة ليأخذ يديها. فلم تسحبهما. نظر إلى هاتين اليدين اللتين بدا عليهما اثر التعب والعناء، فارتسمت على شفتيه تلك الابتسامة الساخرة التي أصبحت تعرفها جيداً. قال: «هل تريدين موجزاً عمّا عرفته والدتي عنكِ؟».

- لا، أنا...

- لأنني أنوي اطلاعك عليه.

أفلت يديها واتكأ إلى الخلف مقيّماً الوضع.

ثم تابع يقول وهو يتفرّس في وجهها: «كانت والدتك مريضة عاجزة تعاني من تصلّب الشرايين. لم يكن يجدر بها إنجاب طفل واحد حتى، وهي في ذلك الوضع الصحي الحرج. لكن والدكِ كان متلهفاً لإنجاب صبي. وبعد أن انجبت ثلاث بنات، توفيت وهي تلد مايكل. حصل هذا عندما كنت أنت في العاشرة من العمر».

- لا أريد...

تابع يقول: «سأقول كل شيء مهما قاطعتني. لذلك من الافضل أن تصغي إليّ لتتأكدي من معلوماتي فلا يصح أن أرتكب أي خطأ».

قالت بمرارة: «بالطبع لا».

ابتسم الستير وقال: «منطق سليم للغاية. كان أبوك مزارعاً وبناءً بارعاً ولكنه كي يتخطى مرض زوجته التجأ إلى الكحول».

رفع يده حين اعترضت بيني روز تلقائياً. ثم همدت على مضض فتابع حديثه: «أمك اعتمدت على ابنتها الكبرى كلياً قبل أن تتوفى».

www.elromancia.com

ازداد صوته رقة وتابع: «واصبحت وأنت في العاشرة من العمر تهتمين بـ «ميثر» التي كانت في السادسة من العمر واليزابث ذات السنوات الأربع ومايكل المولود الجديد».

ـ لا أريد...

تابع كلامه: «كاد الإنعاش الاجتماعي يتدخل. المنطقة بمجملها أبدت اهتماماً. لم يجد التحريون الذين أرسلتهم والدتي صعوبة في ايجاد اشخاص يتذكرون ما قيل عن عائلتك. حسب المعلومات التي وردتني كاد ينتهي بكم الأمر تحت وصاية الرعاية الاجتماعية لولاك أنت».

ـ لم أفعل...

ولكنه لم يقبل أن تقاطعه. فمثل أمير سندريلا، لديه وقت محدد لانجاز عمله. فقال لها: «كافحت وقمت بأعمال شاقة وجبارة. ففي كل يوم، كنت ترجعين من المدرسة وتحلبين الأبقار ثم تستيقظين عند بزوغ الفجر وتعاودين العمل ذاته. الجيران علموا بالامر وراعهم ذلك لكنك لم تقبلي تغيير الوضع، حتى بلغت الخامسة عشرة من العمر وغادرت المدرسة وعملت طول الوقت في المزرعة».

ـ نعم، ولكن...

قاطعها بلطف: «ولكن لم يكن الأمر بالسهل. أليس كذلك يا بيني روز؟ لأن والدك استخدم مدخراتك لشرب الكحول. كان بإمكان أخوتك مغادرة المدرسة، ولكنك لم تسمحي لهم بذلك».

أجابته بلهجة اليأس: «طبعاً لا. هم أذكياء... هيثر تتوق لكي تصبح طبيبة واليزابيث، تريد أن تصبح مهندسة معمارية مثلك».

ثم ابتسمت له بسرعة وبفتور قبل أن تضيف: «وأنت تعلم أن مايكل يطمح أن يكون مهندساً».

ـ كيف ستقومين بتسديد كل هذه النفقات؟

ـ انهم يعاونونني.

ـ ليس بما فيه الكفاية. لا يزال أمام هيثر سنتان لكي تتم دراستها. أما المصاريف الأساسية التي يستوجب عليك دفعها من أجل مايكل فلم تستحق بعد وأنت غارقة في الديون.

وعادت يده تمسك بيدها ثانية وهو يقول: «عليك تأمين حياتك الخاصة أيضاً والتفكير فيها».

لمعت عينا بيني روز الخضراوان غضباً وقالت له: «لقد تحدّثنا عن هذا الموضوع. حالما ينتهي مايكل من دراسته، يأتي دوري أنا. أقصد أنه حينئذ أستطيع أن استمتع بحياتي».

ـ عظيم. بعد ست سنوات أو أكثر؟ إلى متى ستتناولين حساء اللفت، يا بيني روز؟ متى يحين الوقت الذي يصبح باستطاعتهم فيه اعالة أنفسهم ويمكنك تسديد جميع ديونك؟

أجابته بعناد: «أريدهم أن يحصلوا على الأفضل، لأن والدي...».

أجابها بصوت أرق: «لأن والدك لم يتحمل مسؤولياته. ولكنك تتحملينها. أليس كذلك؟ وهكذا افعل أنا. هذا كل ما في الأمر. تحمّل المسؤوليات. لهذا السبب أطلب منك أن تتزوجيني. قد يساعدنا هذا نحن الاثنين».

ـ أنا لا...

ـ لا تقولي شيئاً، دعينا نتناول عشاء لذيذاً. وأخبريني...

كانت مرتبكة جداً فسألته: «أخبرك عن ماذا. أنت تعرف كل شيء».

ـ هناك شيء لا أعرفه.

www.elromancia.com

ـ ما هو؟

ـ لماذا يدعونك بيني روز؟

ـ إدفع المزيد من المال لرجال المباحث الذين يعملون عندك، وستعرف السبب.

ـ والدتي طلبت منهم ذلك ولكن بالإضافة إلى كون اسمك الكامل بنيلوب روز أوشيا...

ـ إذاً؟ لهذا السبب أدعى بيني روز.

هز رأسه قائلاً: «لا، لا يمكنه أن يكون إلا بيني أو روز ولكن...».

قال وهو يتفرس في وجهها: «لماذا لا تدعين نفسك بنيلوب؟».

ـ لا يستهويني هذا الاسم.

ـ هل تودين أن تشرحي السبب؟

ـ والدي...

تنبهت لما تقوله وقالت في نفسها: هذا الامر لا يعنيه. لا دخل لأحد بهذا الأمر.

ولكنها نظرت إليه ثانية ففكرت أنه فعلاً يريد أن يعرف السبب، إذ يبدو مهتماً بها.

هذه الفكرة كانت غير مألوفة إلى حد أنها لم تكد تصدقها، فالتحدث عن نفسها أمر لم تفعله قط. ولكنها لم تستطع أن تمانع في اطلاعه على هذا الأمر؛ على غير عادتها. فقالت: «والدي دعاني بينيلوب، تيمّناً بعمتي التي أمِلَ أن تترك لنا بعض أموالها ولكنها لم تفعل؛ وكره أبي الاسم. أعتقد...».

أخذت نفساً عميقاً وتابعت تقول: «أعتقد أن والدي كان يكرهني».

ـ هذا اتهام في محلّه.

هزّت رأسها وقالت: «لا ألومه. كنت بمثابة ضميره. هل تفهمني؟ منذ توفيت والدتي وأنا أضايقه بشكل متواصل. كل ما كان يريده هو أن يشرب الكحول حتى يتوصل إلى النسيان وأنا لم أسمح له بذلك».

ـ كيف استطعت القيام بذلك؟

هزت كتفيها وقالت: «لم يكن الأمر سهلاً. كنت أسرق المال من محفظته لكي أطعم إخوتي وهكذا كان يجد نفسه مفلساً عندما يقصد الخمّارة».

تلعثمت بالكلام وهي تحاول متابعة الحديث وقالت: «كنت أوبخه كي يساعدني وكنت أضايقه باستمرار ملحة عليه كي يعلمني كيفية بناء السياج. فقد عمل في بناء الجدران الحجرية، وكنت أساعده بقدر استطاعتي».

فأجابها الستير وهو يطيل التفكير وعيناه منصبتان على عينيها: «خلت أنه كان يعترف لك بالجميل».

قالت: «كان يخبر إخوتي أنني سبب جوعهم.. لأني أخذت ماله! بعض الأحيان كنت أشعر أنه طفل آخر عليّ الاهتمام به ولكنه كان أبي. لم استطع أن أضع حداً لكرهه لي».

أضافت قائلة: «اسم بنيلوب روز موجود على جواز سفري واستمارة العمل ولكن عندما حصلت على الوظيفة مع بيرت قالوا ان الاسم طويل ودعوني بيني روز».

قال: «أرفض أن ادعوك بيني أو بينيلوب. أعتقد أنك روز (أي وردة) الأميرة روز. انت تستحقين ذلك وزواجك بي قد يأكّد حصولك عليه. من الآن فصاعداً، أنت روز».

ابتسمت وقالت: «لكنه لا يبدو مناسباً لي. فهو يليق بامرأة ارفع

www.elromancia.com

مقاماً مني».

ـ تستطيعين العيش والارتقاء إلى مستوى الاسم.

ـ إذا أردت ذلك.

قدّم لهما النادل الطبق الرئيسي، ما أعطاهما الوقت لالتقاط الأنفاس. فبيني روز لم تكن ترغب في أن يصرف انتباهها شيء عن تناول طعام مثل هذا ولا حتى من أجل كلّ الأمراء في العالم. فنسيت كل ما يتعلّق بالمقام الرفيع والوقار وركّزت على الأهم.

لم يسبق لألستير أن خبر مثل هذه التجربة: لم يعتد الخروج برفقة امرأة تصبّ كلّ اهتمامها على الطعام!

راح يراقبها مذهولاً ينتظر لحظة إطباقها على آخر لقمة ليعود إلى مسألة الزواج.

وضعت آخر حبة بازيلا في فمها متحسّرة على كونها الأخيرة وقالت: «أرى أن لديك مشكلة تعترض زواجك ببيل. ولكن لمَ اخترتني أنا كبديلة عنها؟ أتخيل أن في إمارتك الكثير من الفتيات المهذبات ممن يتمتعن بالعفة».

ـ نعم.

بدا مرتبكاً، لكنها تابعت بإصرار: «إذاً لماذا تحرّيت عن نشأتي وماضيّ؟».

ـ وقع اختيار أمي عليكِ.

ـ آه صحيح. وأنت دائماً تنفذ رغبات والدتك.

ابتسم وقال: «دائماً».

ـ لمَ لا أصدّقك؟

ـ في هذه المسألة أظن أنها قد أبلت بلاء حسناً.

وكرّرت السؤال ثانية: «ولكن لمَ أنا بالذات؟».

تردّد، لكنه قرّر أن يكون صادقاً معها فقال: «لأنك استرالية».

قطبّت جبينها وقالت: «عليك أن توضّح الأمر».

ـ عندما تنتهي مدة زواجنا، عليك الرحيل. لا أريد أن تلاحقيني بآلات التصوير أو الصحفيين طيلة حياتك. ولا أظن أنك ترغبين في ذلك أيضاً.

جفلت وقالت: «لا».

توقّف للحظة ثم تابع: «هذا الزواج سيخلق ضجة إعلامية كبرى. أتعلمين أني كنت خاطباً وعلى وشك الزواج في وقت مضى؟».

أجابته: «علمتُ بالأمر. كان اسمها ليزا ولاقت حتفها في حادث سير منذ ثلاث سنوات».

ـ مع والدي.

ـ سمعت بهذا الخبر أيضاً.

رقّ صوتها أكثر وأردفت تقول: «أنا آسفة».

تناسى الستير أمر تعاطفها معه إذ لم يكن بحاجة الآن إلى شفقتها. كان يحتاج فقط أن يجعلها تعي أهمية زواجهما. فتابع يقول:

ـ إذاً ربما تستطيعين أن تدركي لماذا لا أريد أن أتورّط عاطفياً مرة أخرى.

رفعت رأسها مستفهمة: «ألستَ مغرماً ببيل؟».

ـ لا لست مغرماً بأحد. بعد ليزا يُعدّ هذا مستحيلاً.

ـ أكانت ليزا سيدة مميزة؟

ـ كانت نسيبتي وقد نشأنا معاً... كنا أعزّ الاصدقاء.

دققت النظر فيه طويلاً وهي تفكّر بالأمر ملياً، ثم قالت: «إذاً... أنت الآن في الثانية والثلاثين من العمر ولم تخطب إلا منذ ثلاث سنوات. يقال إنك خطبتها قبل الحادثة بوقت قليل وكنتما صديقين منذ

www.elromancia.com

سنين خلت».

توقفت عن الكلام وفكرت بالأمر أكثر وأكثر وقالت: «ثم بعد سنوات طويلة من الصداقة، فجأة أصبحت متيّماً بها وقررت أن تتزوجها؟».

قال لها: «عندما قاربنا الثلاثين من العمر، أدركنا قيمة الصداقة الجيدة».

ـ إذاً لم تكن مغرماً بليزا ايضاً.

اكفهّر وجهه وقال: «لقد أحببت ليزا».

شعرت من نبرة صوته أنه يقول الحقيقة ولكن ربما لم يكن يحبها كما يحب الرجل الامرأة، أو كما تتمنى هي أن يحبّها رجل.

وفجأة راحت تفكر وتقول في نفسها: يا الهي وما أدراني أنا؟ لربما ما أفكر به هو حلم رومنسي، من نسيج مخيلتي.

وسألت: «وبيل؟. أهي صديقة أيضاً؟».

ـ ليست مثل ليزا ولكن...

تردد قليلاً، ولكن من حقّ روز أن تعرف حقيقة الوضع تماماً وما ينتظرها في هذا الطريق الصعب الذي هي مقبلة عليه، فقال لها: «بيل تعمل في مجال الديكور الداخلي وهي شريكة في مؤسسة الهندسة التي أملكها في باريس. تعرف ما أريده من المرأة؛ وهي تتفهم حاجتي إلى الانفراد، والسرّية».

ـ حاجتك إلى الانفراد! إنه أساس ممتاز للزواج...

صدرت عنها هذه الكلمات قبل أن تستطيع أن تخفي لهجة الاشمئزاز التي برزت في صوتها. وسمعها الستير فتقطب جبينه غضباً وقال: «الحياة الخاصة والدعم المتبادل هما كل ما نحتاجه أنا وبيل».

فقالت له: «دعني أضع النقاط على الحروف. تريدني أن أمثل دور

الأميرة كما في الحكايات الخيالية الجميلة، لمدة سنة. وبعد ذلك أقدّم طلب الطلاق وألملم حاجياتي وأخرج من هنا وأتركك لـ بيل».

ـ نعم، وإن اختلفنا في طريقة التعبير. هذا هو المختصر المفيد.

ـ ماذا عن بيل؟ كيف تشعر هي حيال هذا الموضوع؟ لو كنت مكانها... لما سرّني أن ارى خطيبي يتزوج فتاة أخرى....

ابتسم لتصويرها الأمر بهذا الشكل وهو يقول: «ليس هذا بتصرّف حكيم؛ بيل فتاة عاقلة. سبق وقلت لك هذا عنها، فهي تعي أن احتياجات البلد تأتي في الدرجة الأولى».

كانت بحاجة إلى التركيز على دورها لا على مستقبل بيل فسألته: «هل سيكون كل شيء على ما يرام؟ هل يشعر المحامون بالفرح لزواج يستمر اثني عشر شهراً؟».

ـ الوصية لا تحدد الوقت الذي يجب أن يستغرقه الزواج. الرأي القانوني هو أنه إذا لم يستمر الزواج لمدة سنة يعتبر باطلاً وليس طلاقاً، وهذا يهدّد الميراث؛ ولكن إذا استمر لمدة سنة...

ـ عندها تصبحان أنت وبيل أميراً واميرة وتعيشان سعيدين... ولكن كيف عرفت أني أتمتع بالعفة والطهارة؟

نظر إليها مجفلاً، ثم ابتسم وقال: «رجال التحري يقولون إنك لم تحظي يوماً بأي صديق وحسب ما تقول أمي لم يتوفر لك الوقت لذلك. هذا يسهل الأمور كما أن نضجك يساعد أيضاً. إذا تزوجت من امرأة غير ناضجة أخشى أن تقع...

ـ تقع في حبك؟

ـ لا مجال لحصول مثل هذا الأمر نظراً للطريقة التي أشعر بها حيال الزواج ولكن أخشى أن تقع في حب مركزها الاجتماعي المغري.

ـ وما الذي يجعلك تفكر أنني لن افعل؟

www.elromancia.com

أجابها: «أنت عملية. هذا ما تقوله والدتي عنك وبدأت أدرك أنها على حق».

ابتسم مرة أخرى وأضاف: «عدا ذلك أنت استرالية. ففي أسوأ الأحوال يمكنني أن أطردك من البلاد بعد اثني عشر شهراً. ولكن لا أظن أني سأضطر إلى القيام بهذا العمل. سوف ترغبين في العودة إلى أختيك وأخيك، وستنالين أجرك».

بدأ الحديث يتخذ منحىً تجارياً. فكرّرت بصوت خافت: «أجري!».

فجأة بدت الفكرة بغيضة، ولكن بالنسبة إلى الستير ووالدته تبقى هي امرأة عملية، والحريّ بها أن تتصرف بما تملي عليها مصلحتها.

سألته بصوت متلعثم: «كم.. كم بالضبط تنوي أن تدفع لي كأجر؟».

احنى رأسه وكأنه كان يتوقع السؤال. وبالطبع كان مستعداً للاجابة فقال:

ـ يقترح المحاسب أن اخصص لك مبلغاً قدره عشرة آلاف جنيه استرليني في الاسبوع ما عدا المصاريف طوال فترة زواجنا، على أن أسدّد لك مبلغ مليون جنيه عندما يتم الطلاق.

كادت تختنق بالعصير الذي كانت تشربه، فدنا منها الستير وربتّ على كتفيها بقوة.

لم تستطع لمسة يده على كتفها أن تعيد لها هدوءها. وعندما توقفت عن السعال كان وجهها متورداً وبدا الارتباك على محياها وقالت له وهي تلتقط أنفاسها: «عذراً. ظننت أنك قلت... مليون جنيه!».

ـ هذا ما قلته.

كادت تغضب منه وقالت: «هذا الأمر مضحك!».

ـ كلا. أنا غني. ربما ليس لدي ما يكفي من المال لكي أشتري الممتلكات بالثمن الذي يدفعه السائحون ولكن إذا حصلت على الميراث، سأحظى بثروة تمكنني من شراء ما أريد وما لا أريد. يقول المحامون إنه إذا لم أكن كريماً، قد اواجه قضية في المحكمة وهذا ما لا أريده.

لم تستطع بيني روز أن تصدق كل ما تسمعه فقالت: «ماذا عن بيل... أهي موافقة أيضاً؟».

تكلم على مهل قائلاً: «بيل هي المرأة التي أرغب في أن تبقى معي على المدى الطويل. بعد أن فقدت ليزا، لا أريد أحداً أو أي شيء يتطلب العواطف والشعور. بيل شريكة عظيمة ومتفهمة».

أحنت بيني روز رأسها بالرغم من أن فكرة الزواج التي يطرحها جعلتها تشعر بالخوف والرهبة وقالت: «هي تفهم القليل الذي تريده منها. ولكن هل تفهمني؟».

ـ تنظر إليك كشرّ لا بد منه.

ـ شكراً.

ـ لا شكر على واجب.

ـ أتخيل أنه بوصفك أميراً، ستعلن عن حفلة الزفاف على الملأ.

ـ نعم. يجب أن تكون مناسبة عامة.

ـ إذاً كيف ستكون ردّة فعل الناس عندما أختفي بعد اثني عشر شهراً؟

أجابها: «الجميع قلق لأن الإمارة بخطر. وبالرغم أنّ خطوبتي لـ بيل ليست رسمية بعد، فالجرائد تنشر اخباراً تشير إلى عدم موافقة الناس على هذا الزواج. يريدون الاستمرارية للإمارة، وزواجنا نحن الاثنين سيزيل هذه المخاوف».

لم تكن تستمع إليه جيداً، فقد لفتت سمعها كلمة واحدة، كلمة

www.elromancia.com

هامة جداً «استمرارية». وكادت تختنق مرة أخرى. قالت: «لا تريدني أن أنجب لك طفلاً، أليس كذلك؟».

ضحك وهو يجيب: «لا. أعتقد أنني وبيل ستتدبر هذا الأمر، لاحقاً».

تابعت توجيه أسئلتها إليه بكلّ تهذيب بالقول: «هذا يصبّ في خانة أعمال المضيفة الأنيقة، أليس كذلك؟».

تلاشت ابتسامته وقال: «لا حاجة...».

ـ لأن أكون وقحة؟

بدأت تستعيد توازنها وهدوءها وأطلقت ضحكة خافتة عندما غرق الستير في كرسيه. فقالت له:

ـ آسفة، فأنا دائماً هكذا. من الضروري أن تعرف هذا عني إذا كنت تنوي الزواج بي.

ـ إذاً ستتزوجيني؟

رفعت يدها وقالت: «أفكر بالامر ليس أكثر».

ـ هذا كل ما أطلبه.

ـ كم لديّ من الوقت لكي أقرّر؟

ـ حتى تحضر القهوة.

ما إن قال هذا حتى فقدت توازنها مرة أخرى وصرخت: «النجدة...».

أجابها بلهجة دفاعية: «إذا لم توافقي، عليّ أن أجد امرأة اخرى. والنساء العمليات اللاتي تتمتعن بالعفة...».

حاولت بيني روز أن تستعيد توازنها فقالت: «نادرات؟ اعتقد أنك تستطيع أن تضع إعلاناً في صحيفة دولية تحت عنوان: مطلوب: أميرة لمدة سنة. أتخيل أن المكالمات ستنهمر عليك».

كانت ابتسامته خافتة عندما قال: «ربما، ولكني لا أستطيع القيام بهذا العمل».

ـ لمَ لا؟

رد عليها بتأنّ: «هذا الزواج يجب أن يبدو حقيقياً».

ـ لكي تسترضي اولاد الأعمام؟

ـ والمحامي.

ولكنها فكرت بالأمر ملياً وقالت: «إلا أن بيرت وفريق العمل يعلمون أنه زواج مصلحة».

هزّ كتفيه وأجاب: «زواج المصلحة لا يعني أنه ليس زواجاً حقيقياً. فالزيجات الملكية معروفة بقيامها على المصلحة منذ زمن بعيد».

تطلّعت إليه ثم أشاحت بوجهها عنه ثانية. لقد بدأ كلامه يربكها، فهو يتكلم عن مشروع عمل وتراه يخطط لحياته كلّها أولاً معها ثم مع بيل وكأن الأمر مغامرة تجارية. تلك الخاطرة أقلقت بالها وقالت في سرّها: إنها لخسارة بالفعل. قد يكون الزواج المبني على المصلحة مألوفاً لدى العائلات المالكة، ولكن هناك ابتسامة الستير الرائعة واهتمامه بالغير، وأمواله وقصره. إنه عريس ممتاز بالفعل وأمير مميز.

ثمّ ما لبثت أن وبّخت نفسها على التفكير بهذا الشكل لأنه بما أن الستير يفكّر في الأمر كعرض عمل، عليها أن تحذو حذوه. تمتمت: «مليون جنيه!».

طرحت أفكارها الأخرى جانباً وهي تفكّر فقط بمدى أهمية هذا المبلغ بالنسبة إليها. تابعت تقول:

ـ مليون... هل لديك أدنى فكرة كم يغري فتاة مثلي مبلغ كهذا؟.

ـ أخال ذلك. لن تضطري للعمل مجدداً.

www.elromancia.com

أجفلت لكلماته وقالت: «لا أعمل؟».

غضنّت جبينها وهي تضيف: «لا أعرف كيف تغدو حياتي بدون عمل».

علّق بلطف: «تستطيعين أن تتعلّمي وتتأقلمي خلال السنة التي ستكونين فيها أميرة».

ـ آه صحيح! اتبختر وأمشي مختالة هنا وهناك، وأضع التاج على رأسي وألمّع كرسيّ العرش. لا أعتقد ذلك.

ـ ستصبحين حاكمة صورية.

ـ حاكمة صورية لا تزال بحاجة إلى نيل الشهادة العليا في البناء. لن أعود إلى موطني قبل الحصول على الشهادة.

حدّق بها وقال: «لن تكوني بحاجة إلى العمل في البناء فما ستجنينه سوف يغنيك عن العمل مدى الحياة».

نظرت إليه بانشداه وكأنه ينطق بلغة غير مفهومة، ثم قالت: «لكني أحبّ بناء الجدران الحجرية».

ـ لن تبني الجدران عندما تصبحين زوجتي.

ـ إذا أبقيتني في القصر على وسادة مخملية سأصاب بالانهيار.

ثم أضافت وهي تضحك: «أو سأسبّب لك المتاعب. كن واثقاً من ذلك. سأتدخل في كلّ ما لا يعنيني. عليك أن تقبل بي كعروس تمتهن البناء أو لا تقبل بي إطلاقاً».

ثم أخذت نفساً عميقاً وأضافت: «الستير، الحصول على المال شيء جميل جداً لأجل شقيقتيّ وشقيقي، ولكنني لا أنوي أن أحال إلى التقاعد مدى الحياة على يديك».

ـ هناك العديد من النساء اللواتي يتلهفن للحصول على فرصة كهذه.

ـ لستُ من ضمن هذا العديد.

ـ هذا ما يتبين لي.

وتابع يقول: «إذا لم توافقي على الزواج بي، سوف تتشرّد عائلات كثيرة».

ـ هذا هو السبب الوحيد الذي يحملني على الاصغاء إليك.

ـ بإمكاننا تحقيق الأمر.

ترددت بيني روز ثم قالت: «أترغب في عرس شبيه بأعراس قصص الخيال؟ كنيسة كبيرة وعربات وإلى ما هنالك؟».

ـ لن نرتبط في الكنيسة لأننا لن نبقى معاً طويلاً. الكنيسة هنا صغيرة وسنتذرّع بصغر حجمها.

بدا وكأنه يشعر مثلها تماماً، بالخوف وعدم الثقة. حملقت فيه ولمحت الشك والتردّد في عينيه وحاجته الماسّة إليها.

راودتهما الشكوك نفسها وقالت: «عليك أن تدعو إخوتي وتؤمّن مجيئهم بالطائرة لحضور العرس».

توقفت عند كلّ كلمة وللمرّة الأولى بدت وكأنها تفكّر بهذا الزواج كاحتمال وارد بالفعل.

لم يتردّد الستير بالقول: «باستطاعتي تنفيذ ما تقولين».

بدأت تقول: «و...».

تورّد وجهها وأضافت متلعثمة: «هل سننام في غرفتين منفصلتين؟».

ابتسم وقد بدت على وجهه ملامح الارتياح: «هناك سوابق ملكية لمثل هذه التدابير. فجناح الزواج في القصر يحتوي على غرفتي نوم منفصلتين وبينهما حجرة تغيير الملابس».

ـ يا للرومنسية! وهل هناك ابواب مقفلة؟

www.elromancia.com

أجابها بجدية: «بالطبع، لأنك امرأة عفيفة».

كان عقلها يعمل بجهد، وما نوت قوله لم يكن سهلاً ولكن يجب أن يقال، فتابعت تقول:

ـ بالنسبة إلى بيل... يا ألستير، عليها أن ترحل.

تردّدت وهي تحاول التفكير في بديل أو خيار آخر، ولكن لم يكن باليد حيلة. فوجود بيل ضمن التدابير المتخذة أمر مناف للعقل والمنطق.

عيناها التمعتا حبوراً وهي تضيف: «من الضروري أن أتولى زمام الأمور في القصر وأن أفرض سلطتي كزوجة».

فكّر الستير بالأمر ملياً وارتأى أنه طلب منطقي، إلى حدّ ما. قد تكره بيل هذا الاقتراح ولكن المنطق يقول إن بيني روز على حق. فهذا الزواج الزائف سوف ينهار إذا بقيت بيل في القصر. بعد برهة من الصمت، أومأ رأسه وقال: «موافق».

ـ وأستطيع أن أستمر في عمل البناء مع بيرت؟

لم يكن هذا الأمر بتلك السهولة فأجابها: «قيامك بهذا العمل سيثير العجب والدهشة. فالأميرات لا يقمن بأعمال البناء».

ـ هذه الاميرة بالذات سوف تقوم بذلك، وإلا لن أبرم هذه الصفقة. سأكون أميرتك وستكون أميري لبعض الوقت، كدوام جزئي؛ أما من الساعة الثامنة صباحاً حتى الرابعة فسأخلع التاج وألبس ثياب العمل. تستطيع أن توصد الأبواب لكي لا يراني أحد ما عدا بيرت والشباب. فهو يعلم مسبقاً بأمر هذه الصفقة وسيبقي فمه مطبقاً.

ـ المال الذي ستكسبينه مني سيغنيك عن كل هذا.

هزّت بيني روز رأسها رافضة تغيير رأيها وقالت: «ممنوع التفاوض في هذا الموضوع. بإمكاني استخدام أموالك لتعليم إخوتي ولا يسعني

أن أشرح لك كم يريحني هذا الأمر. ولكن بعد ذلك سأوظف بقية الأموال في مشروع تقاعدي حين تصبح أصابعي ضعيفة جداً عن حمل الحجارة».

ـ سيكون مشروع تقاعد مميزاً.

التقت عيناها الخضراوان بعينيه وتسمّرتا وهي تضيف: «هل أنت جادّ في ما تقول؟».

جوابه كان واحداً ولم يملك القدرة على الخيار: «أنا جادّ».

ـ لكن... لديك تحفظات، أليس كذلك؟

كان عليه أن يكون صادقاً فأجاب: «نعم، لديّ تحفظات».

ـ حسناً، وأنا أيضاً. لكن كي لا نحرم مايكل من دخول الجامعة وكي نبعد شبح التشرّد عن أهل قريتك، اعتقد أنه بإمكاننا إعطاء هذا الزواج فرصة، ما رأيك؟

مضت لحظة من الصمت. أخيراً أجاب: «أعتقد أنه باستطاعتنا إعطاء هذا الزواج فرصة وابرام الصفقة».

سمح لنفسه بأن يرتاح أخيراً؛ فابتسم وأضاف: «بعد تناول الحلوى طبعاً. أتسمحين لي بأن أمتّع شهيتك بكعكة التوت اللذيذة؟».

أجابته بكلّ حرارة: «بالطبع؛ ولنفكّر بعدئذٍ في الطريقة التي ننوي اتباعها للزواج».

* * *

www.elromancia.com

٤ ـ رحلة الأميرة

ما إن اتُخذ القرار حتى غدت الخطة المرسومة واقعاً ملموساً. وقبل أن تبدل بيني روز رأيها أطلع الستير مرغريت وبيل على الأمر بينما ترك أمر اطلاع بيرت على عاتقها هي.

قالت لرئيسها: «ملاحظة واحدة تنطق بها حول الرومنسية وتكون من عداد الأموات. إنه زواج مصلحة لمدة سنة ولكن يجب أن يعتقد الناس وفريق العمل أيضاً أن هذا الزواج حقيقي. أنت تعلم سبب إقدامي على هذه الخطوة وأنت الذي جعلتني أصغي إلى الرجل. لذلك عليك التزام الصمت ومساعدتي، وإلاّ...».

تقيّد بيرت بكلامها. ومن الداعي للعجب أنه تقبّل قرارها برحابة صدر واستحسان، وباشر في اطلاع الرجال بصورة سرّية على أن بيني روز ستقدم على خطوة تعلي من شأنها ومقامها. أخبرهم عن كل شيء ما عدا عن الإطار الزمني للزواج. جلس الرجال بذهول شديد إلى أن استوعبوا الخبر، وعندها استحسنوا الأمر، ثم رحبوا به من كلّ قلبهم. فخلال الوقت الذي امضوه معها في العمل، زاد تعلّقهم ببيني روز، وفي رأيهم لم يكن هناك من يستحق ضربة الحظ هذه أكثر منها.

فكّرت بيني روز في ردّات فعل اشقائها. لا يمكنها أن تخبرهم أنه عقد عمل سيستمر لمدة سنة فقط، فإن علموا أنها أقدمت على هذا

الزواج من أجلهم، قد تواجه إضراباً جماعياً عن متابعة التحصيل العلمي، وهذا ما لم تكن ترغب فيه إطلاقاً، لذلك أخبرت هيثر الحقائق المجرّدة وتركت لشقيقتها نسج الحكاية على طريقتها. وقامت هيثر بذلك باستمتاع شديد قائلة وهي غير مصدّقة:

ـ أمر لا يصدق، مذهل. آه يا بيني روز، لطالما عرفتُ في داخلي أنك ستتزوجين شخصاً مميزاً؛ أميراً حقيقياً؟ هل هو رائع؟

ـ أعتقد أنه باستطاعتك القول إنه رائع بالفعل.

قالت هذا بحذر وروية. فأطلقت هيثر ضحكة خافتة وهي تقول: «لا شك أنه كذلك إذا قررت الزواج به، فأنا أعلم رأيك في الزواج... بالمناسبة، ماذا يناديك؟».

ـ روز.

ـ ستصبحين الأميرة روز؟

ـ أعتقد ذلك.

استطاعت بيني روز أن تتخيل مدى سعادة أختها على الطرف الآخر من الخط والتي تابعت تسألها: «هل هو ثريّ للغاية؟».

ـ نعم.

ـ متى سنلتقيه؟

ـ العرس سيقام بعد ستة أسابيع وسيرسل لكم الستير تذاكر الطائرة إذا كان باستطاعتكم المجيء.

تعالت صرخة فرح من الطرف الآخر لخط الهاتف وسألت هيثر: «حقاً؟».

ثم سمعت تنهيدة تنم عن فرح شديد. تابعت هيثر قائلة: «إياك أن تحاولي إبقاءنا بعيداً. هل يمكن أن أكون اشبينتك؟».

ـ لن، لن يكون لدي اشبينات.

www.elromancia.com

ـ الاميرات لهن اشبينات على الدوام.

ـ إلا لهذه الأميرة.

صمت قصير وتابعت هيثر: «سيكون عرساً ملكياً، صحيح؟».

كان هناك جواب واحد لا غير لهذا السؤال: «نعم».

ـ رائع.

تنهدت مجدداً ثم أضافت: «النجدة! ليس لدينا ثياب تليق بالمناسبة».

كان قد تمّ طرح هذه المسألة بينها وبين الستير، فأجابت: «سيرسل الستير إليكم شيكاً لشراء ثياب رائعة».

وعندما كشفت لها عن قيمة الشيك، ساد الصمت لبرهة ثم تساءلت هيثر: «هل هذا الشاب حقيقي؟».

ـ نعم.

ـ هل لديه أشقاء؟

ابتسمت للسؤال وأجابت: «لا».

بعد أن التقطت أنفاسها، قالت هيثر: «لا بد أنه رائع. يجب أن يكون أميراً فريداً من نوعه كونه نظر إليك وأنت ترتدين ثياب العمل المقرفة ورأى بيني روز الرائعة داخل تلك الثياب».

وبعد صمت طويل، قالت هيثر لشقيقتها: «آه، يا بيني روز. آه، يا حبيبتي. أنا سعيدة جداً من أجلك».

لم يكن بوسع بيني روز أن تحول دون تهافت وسائل الاعلام. وبالرغم من أنه لم يكن قد صدر اعلان رسمي بعد، فقد عُلم بأمر قضائهما تلك الأمسية في مطعم».

قال لها الستير: «ابقي في القصر من الآن فصاعداً».

ولم يكن لديها خيار، فالمصوّرون تحلقوا حول بوابات القصر.

ـ بدأت أشعر كأنني فتاة غنية بائسة.

قالت هذا وهي تجلس إلى مائدة العشاء مع مرغريت والستير بعد ذلك بيومين. كانت قد انتقلت للإقامة في إحدى غرف الضيوف في القصر على مضض. ففي غمضة عين أصبحت من ضيوف القصر. لم تر مثل هذه الاواني الزجاجية والفضية في حياتها. كان عليها أن تستجمع كل قواها لتبقى رزينة امام الخدم. سألت: «ألا استطيع الذهاب إلى أي مكان؟».

اجابها الستير: «لم يكن بوسعك الذهاب إلى أي مكان من قبل على أيّ حال».

ثم ابتسم عبر الطاولة وقال: «على الأقل لا نقدّم لك حساء اللفت».

ـ أعلم ذلك. أنا لا أتذمر.

استعادت طبعها المرح وتمنت لو أنه لا يبتسم على هذا النحو لأنّ تلك الابتسامة قطعت حبل أفكارها.

قال الستير: «لم يقدّروا أنك ضمن فريق عمل البناء لا سمح الله. هل أنت متأكدة أن فريق العمل سيلتزم الصمت؟ وماذا عن آل بريك؟».

اجابته بطريقة جافة: «اتخيل أن أموالك ستضمن الصمت. معك حق. طالما أنا هنا، أنا بأمان».

فكر الستير ملياً وأضاف: «هناك مشكلة واحدة. يجب أن تذهبي إلى المدينة».

ـ لماذا؟

ـ أنت بحاجة إلى ملابس.

توهجت غضباً وقالت: «وما العيب في ملابسي؟».

تردد ثم ابتسم مرة ثانية لكي يخفف من ملاحظته الفظة وقال:

www.elromancia.com

«ثوبك. . .».

وأشار إلى ثوبها الكاشف عن ذراعيها وكتفيها وقال: «اعلم أنه لا يجب أن ألاحظ ذلك ولكن هذه هي الليلة الثالثة التي ترتدين فيها هذا الفستان».

ازداد وجهها تجهماً وقالت: «ليكن! أنا أحب فستاني هذا».

رفع حاجبيه وسألها: «ألديك خزانة تحتوي على ثياب السهرة لمختلف المناسبات؟».

ـ لست بحاجة. .

ـ بنّاءة الحجارة قد لا تكون بحاجة لها، ولكن زوجتي العتيدة تحتاج لهذه الملابس. يوم الجمعة سنعلن خطوبتنا رسمياً ويجب أن تظهري بأبهى حلة».

تدخلت مرغريت قائلة: «هي تبدو رائعة الآن».

دفء مرغريت واستحسانها لها رافقا بيني روز دوماً منذ بداية الاتفاق على الخطوبة مما أشعرها بالطمأنينة في خضمّ ما يجري لها من أحداث.

أجاب الستير بإصرار: «التقطت صور لـ روز وهي ترتدي هذا الفستان لدى مغادرتنا مطعم ليلي. فهي تحتاج لغيره من الثياب».

بدت مرغريت كدجاجة تدافع عن فراخها عندما قالت: «أنا متأكدة أنّ لديها فستاناً آخر».

ثم عبست في وجه ابنها وخاطبته قائلة: «لماذا تدعوها روز؟ اسمها بيني روز».

ـ اسم بيني روز لا يليق بأميرة، بينما اسم روز يليق بهذا اللقب أكثر.

قالت بيني روز في سرّها: والاكثر من هذا كلّه أن هذا الاسم لا

يعكس حقيقتي أبداً. كما أنّ هذا الزواج لا يقرّبنا من بعضنا البعض».

سألها متجاهلاً استفسار والدته بلباقة: «ألديك فستاناً آخر؟».

تلعثمت بيني روز وتورّد وجهها وهي تجيب: «في الحقيقة لا أملك غيره».

فقالت مرغريت: «والآن، إلى أين ستذهبين للتسوّق؟ لا يمكن أن تذهبي إلى أي مكان داخل الإمارة، فسيتجمهر الناس من حولك حتى قبل أن تصلي إلى أول محل لبيع الثياب النسائية. الستير، عليك أن تأخذها إلى باريس».

قال محتجاً وقد روّعته الفكرة: «ليس لدي الوقت الكافي للذهاب، فلست أنا من هو في حاجة إلى الثياب».

أجابت مرغريت: «يجب أن تذهب إلى باريس. هل تقول إنك لن تأخذها؟».

وجهت إليه هذا السؤال وثبتت نظرها على وجهه.

أجاب: «استطيع أن اطلب من بيل أن تصطحبها».

تناهت شهقتان إلى سمعه، فما كان من الستير إلا أن تنازل عن اقتراحه: «حسناً. فكرة سيئة. بيل معروفة، ووسائل الاعلام في كل مكان».

تنهد وناشد والدته قائلاً: «ولكن أنتِ خير مرافق لها».

هزت والدته رأسها وقالت: «كلا، يا عزيزي. لقد رآكم الصحافيون معاً. وكلما استطعنا أن نصبغ هذه العلاقة بالرومنسية ازداد نجاحنا. ما أروع أن يلتقط لكم المصورون صوراً وأنتما تتمشيان يداً بيد في شوارع باريس».

ردّت بيني روز بسرعة قائلة: «أنا لا أنوي أن أمسك بيد أحد».

تنهدت مرغريت ثانية وقالت: «أنتما لا تحسنان القيام بهذه المهمة

www.elromancia.com

الرومنسية، أليس كذلك؟».

أجابها الستير: «نحن بأحسن حال».

ـ حسناً، إذاً أمسكا بيدي بعضكما. يجب أن تعتادا على ذلك.

قالت مرغريت هذا ونظرت إلى بيني روز ثم إليه: «بعد ستة أسابيع سيقال لك: يمكنك أن تقبّل العروس. فإذا كانت قبلة بريئة على الجبين سوف يعرف المحامون أن هذا الزواج مزّيف وصوري. وستكون خسارة فادحة لنا ولسكان القرية».

ـ لا يمكنهم...

أجابت مرغريت بقسوة وبحدّة: «هذا الزواج يجب أن يبدو حقيقياً. ألستير، توقف عن معاملة هذه الفتاة وكأنها ستعضّك. بيني روز، توقفي عن معاملة هذا الرجل كأنه رئيسك. تعاملا مع بعضكما البعض بمودة ومحبة».

اجابتها بيني روز وقد تمكنّت من الابتسام: «نعم يا سيدتي. سأفعل كل ما بوسعي».

ـ ألستير، خذ هذه الفتاة إلى باريس وابدأ بمناداتها بيني روز.

ـ ليس باسم اميرة.

ـ وهل ستكون اميرة فقط؟ أليست صديقة؟

ـ يجب أن نحافظ على الشكليات.

اجابته والدته بسخط: «حسناً، إذاً خذ مهما يكن اسمها إلى باريس».

وبنفس القدر من الغضب والسخط قال: «التي مهما يكن اسمها تستطيع الذهاب بمفردها».

قاطعتهما بيني روز: «لكن أنا... أظن أنني احتاج لبعض المساعدة. ليس لدي الخبرة الكافية في التبضع».

توقفا عن التحديق في بعضهما البعض والتفتا نحوها مذهولين.

سألها الستير بإنكار شديد: «إذاً أين وجدت هذا الفستان الذي ترتدينه؟».

ـ في الحقيقة صنعته بنفسي.

حدّق بها الستير وكأنها أبلغتهما عن قدومها من كوكب آخر.

ـ أنت تمزحين.

أجابته: «أنا لا أمزح».

ورمقته بنظرة ملؤها التحدي وأضافت: «أنا لا ابني الجدران الحجرية فقط بل أتمتع بمهارات أخرى».

ثم لاحت ابتسامة عريضة على وجهها وهي تقول: «أستطيع أيضاً أن أصفّر وأدعو الأولاد للمجيء عن مسافة ميل. هل تريدان أن تسمعا؟».

ووضعت اصبعين في فمها واستعدّت لأن تصفّر.

ـ لا!

صاح الستير ومرغريت بصوت واحد. وضحكت هي وتوقفت عما كانت تنوي القيام به لكن الستير ظل ينظر إلى ردائها باندهاش كبير ورهبة: «لكن...».

وراح يتفحص الثوب بعين ناقدة إلا أنه لم يجد فيه أي عيب. أضاف: «إنه جميل».

أشرقت عيناها وأجابته: «شكراً».

كان لا يزال يجد صعوبة في تصديقها فسألها: «و... رداء العمل؟».

ـ صنعته أيضاً.

ـ ألم تتبضعي وتشتري ثياباً على الإطلاق؟

www.elromancia.com

قالت مرغريت وعيناه تلمعان: «آه الستير؛ كم جميل أن تعرّف عروسك بالتسوّق!».

أجاب: «هناك ثياب خاصة بالنساء كالملابس الداخلية المخرّمة وغيرها. لا أستطيع أن أساعدها في هذا المجال».

أجابت والدته بكل ثقة: «بل تستطيع. ستسافران غداً صباحاً وستنزلان في أفخم فندق في باريس. وستصرفان أموالاً طائلة وستمضيان وقتاً ممتعاً».

أجابتها بيني روز بصوت خافت: «عليّ أن أطلب إجازة من بيرت».

علّق الستير قائلاً: «بيرت وأنا متفاهمان».

لم يسرّها الجواب، فقالت له: «تعتقد أنك سترشوه لكي يبقيني في فريق العمل بدون أن يطرح أي أسئلة أو يعترض».

ـ لست بحاجة للقيام بهذا، فهو ليس على وشك صرفك من الخدمة.

لقد بدأت ابتسامته تحرّكها وتؤثر فيها. وراحت تفكّر: يا إلهي! لم يمضِ على إقامتي في بيته يومان وما زال لديّ سنة من الزواج الصوري. كلّما ابتسم هذا الرجل حرك شيئاً في أعماقي. ربما لأنه جذاب جداً ولم أكن يوماً برفقة رجل جذاب.

ـ ستذهبين معي للتسوق. أليس كذلك؟

ـ وهل لدي خيار آخر؟

ـ لا.

بسطت يديها وقالت: «حسناً، دعنا نشتري كل شيء دفعة واحدة. هل تستطيع شراء فستان العرس أيضاً؟».

وهنا تدخّلت مرغريت بالقول: «يا عزيزتي، إذا لم يكن لديك

مانع، يمكنك أن ترتدي فستان عرسي».

ـ ولكن ألن ترتديه بيـ...؟

ما إن بدأت بيني روز بالكلام حتى أسكتتها العبسة المفاجئة التي بدت على وجه حماتها: «تفضل بيل أن تموت قبل أن ترتدي فستاناً قديماً».

فقالت بيني روز وهي تنظر بطرف عينها إلى الستير لترى ردة فعله: «أنا... يبدو أنها مسألة شخصية جداً. اقصد أن هذا القران مبني على المصلحة ولن يدوم الزواج سوى سنة واحدة».

ولكن ما أثار دهشتها هو ترحيب الستير بالفكرة حيث قال: «أراهن أنه سيبدو رائعاً عليك وبهذه الطريقة لا نبذّر المال».

ابتسم واضاف: «لا شك أن عملية التوفير هذه تروق لك وتتلاءم مع طبيعتك المتقشفة!».

اجابته: «إذا كان مالك فلا أمانع في صرفه».

فضحك الستير بصوت عال وقال: «يا للكرم والسخاء!».

قالت برقة: «بإمكاني أن أكون سخية».

وراحا يبتسمان لبعضهما البعض كصديقين... أو أكثر.

سألها: «هل سترتدين فستان عرس والدتي؟».

لم يلاحظ الرجفة في صوته سوى مرغريت، فبيني روز كانت بدورها تتخبط في افكارها المضطربة.

أيرمت مرغريت حكمها قائلة: «من الضروري أن تراه بيني روز أولاً. لن ترتديه إلا إذا أحبّته. ولكن في غضون ذلك تناولا عشاءكما واخلدا إلى الفراش باكراً ثم توجّها إلى باريس في الصباح».

وافقها الستير الرأي، فقال وفي عينيه الخطرتين بريق خبيث: «لشراء الملابس الداخلية».

www.elromancia.com

تمتمت بيني روز: «في احلامك الستير دي كاستالييه تشتري لي ثياباً داخلية!».

ترددت ثم أضافت: «وربما من الافضل أن تشتري لي ثوب عرس. في الواقع لست مرتاحة لارتداء ثوب والدتك».

ـ لمَ لا؟

أجابته بصراحة: «لأنه حقيقي».

ـ هذا سخيف.

ـ لا ليس سخيفاً.

ثم التفتت إلى مرغريت وقالت لها: «يجب أن تدركي أنّ ارتداء ثوب عرسك يجعل الأمر كلّه حقيقة وتغدو المسألة شخصية، وهذا العرس لا بدّ أن يكون مجرّداً من الذاتية وإلا لن يُكتب له النجاح».

الا أن مرغريت قالت لها: «أودّ أن ترتديه».

وبذهول شديد فهمت بيني روز بوضوح قول المرأة، لذا قالت: «لا أستطيع. إنه لزوجة الستير الحقيقة».

قال الستير وهو يقلّب نظره من واحدة إلى أخرى: «لا أفهم. سوف تكونين زوجتي الحقيقية».

أجابته بيني روز: «كما سبق وقلت: في أحلامك الستير دي كاستالييه، في أحلامك».

اليوم التالي كان حلماً بحدّ ذاته.

توقّعت أن تستقل هي والستير القطار نفسه للذهاب إلى باريس أو أن يستقلا سيارة وفي كلتا الحالتين الرحلة تستغرق النهار كله.

ولكن لم يحصل ما توقعته. فقد أقلّها الستير في سيارته الفيراري. وبعد عشر دقائق، أصبحا على متن طوافة خاصة. بعد ذلك بثلاثين دقيقة كانا في باريس. حيث كانت سيارة ليموزين بانتظارهما.

عندما وصلا إلى الفندق، تركها الستير عند باب الجناح وكان عليها أن تقرص نفسها لترى إن كانت في كامل وعيها.

كل شيء كان رائعاً. إذاً لمَ لمْ تقفز من شدة الفرح؟ بكلّ بساطة لأن المكان كان كبيراً جداً، وموحشاً للغاية. فجأة تراءت لها المسافة الشاسعة التي تبعدها عن استراليا وعائلتها وشعرت بنفسها تردّ دمعة انسابت من مقلتيها.

تمشّت في أرجاء الجناح تتلمّس كل شيء وبالكاد تتجرأ على التنفس. وعندما سمعت قرع الباب، قفزت مجفلة.

كان الستير، طبعاً. فشعرت بالسعادة لرجوعه.

قالت له: «هذا.. هذا فندق فخم».

أومأ برأسه موافقاً وهو يراقب وجهها: «هو كذلك. هل أعجبك؟».

أخذت نفساً عميقاً ونظرت حولها مرة أخرى: «ينقصه شيء... أو بالأحرى أشياء. إنه بحاجة لبعض الاولاد والقطط والكلاب وعلب البيتزا المبعثرة على الأرض وبرنامج صاخب على التلفزيون. عندها، لعليّ أحب المكان قليلاً».

ـ لا تحبينه إذاً.

قالت معترفة بالحقيقة: «لا، فهو شبيه بقصر».

وأضافت: «ربما أنت معتاد على النوم في القصور...».

ـ مهلاً، ورثت اللقب للتو.

ـ أنت أخترت هذا المكان.

ـ لم أختره. لم آت إلى هذا الفندق من قبل. ولكن بيل تقول إنه الافضل ووالدتي قالت إنه علي أن أصطحبك إلى أفضل فندق.

أوضحت قائلة: «لا يعجبني البريق والذهب في هذا

www.elromancia.com

المكان و . . . ».

ـ وماذا؟

ـ المرايا. أينما ذهبت أرى نفسي.

نظرت إلى ثوبها وقالت: «الآن اصدقك عندما تقول إنه يلزمني ثياب، خاصة إذا كنت سأمضي وقتاً أطول أمام هذه المرايا اللعينة. حسناً لنخرج من هنا للتسوق».

ـ أنت حقاً تتلهفين للقيام بهذا العمل؟

قالت معترفة له بالواقع: «لا، فلا أعرف كيف اقوم بهذا العمل».

فقال لها وهو يخفي ابتسامته: «إنه أمر سهل. أريهم بطاقة الاعتماد وراقبي ما يحصل».

مدّ لها يده وقال: «تعالي وانظري».

حدقت بيده للحظة طويلة. وتذكرت ما قالته مرغريت.

إنه عالم قوامه الاحلام. وإذا ارادت أن تعيش في عالم الاحلام، عليها أن تنخرط فيه.

لذلك ابتسمت لزوجها العتيد بثقة لم تكن تشعر بها مطلقاً. وضعت يدها في يده وتركت نفسها تقاد إلى شوارع باريس.

أخذا يتبضعان ويتبضعان ويتبضعان، وعندما أكّدت له بيني روز أنه لم تعد هناك قطعة ثياب في باريس إلا وجرّبتها، جاء دور أدوات التزيين واشترى المزيد منها.

توقفا فقط لتناول الطعام. أخذها إلى مطعم صغير هادىء حيث لا يتوقع أن يعرفه أحد. تناولا طعاماً شهياً. ولكن بيني روز غرقت في الصمت حتى أدرك الستير مدى غرابة هذا الصمت. في اليوم التالي عندما ذهب إلى غرفتها ليصطحبها إلى السوق رأى ظلالاً سوداء تحت

عينيها وعندما سألها عن السبب اخبرته أنها لم تذق طعم النوم.

قالت: «إنه السرير. فهو كبير جداً وبارد جداً وموحش».

ـ علينا أن نحتمل هذا الوضع. أمامنا ليلة واحدة ونعود إلى البيت غداً. . .

ـ تقصد إلى قصرك!

فكرّ في غرفة الضيوف الفخمة في منزله وتجهّم وجهه: «هل ترين تلك الغرفة موحشة ايضاً؟».

أجابته وقد فهمت قصده: «لا أشعر بالحنين إلى بيتي. لم يكن لدي شعور مثل هذا في حياتي».

ـ ألا تستمتعين بالتسوق أيضاً؟

أجابت باندفاع: «أشعر كأنيّ امرأة مقيّدة. إنه شعور رهيب. لا أعرف إن كنت سأتمكن أن أتحمله طيلة سنة».

تأمل وجهها باستغراب ودهشة. إن لم يتوخ الحذر وينتبه جيداً، ستقع كارثة وسيفشل الأمر كلّه. كان واثقاً من ذلك.

فقال لها: «بإمكانك الانسحاب والتراجع».

ـ ثم ماذا؟

ـ أخسر أملاكي ومايكل لن يذهب إلى الجامعة.

ـ أرأيت؟ كلانا أمام حائط مسدود.

فقال لها بمرح: «إنه حائط مريح».

قدّم لها ذراعه قائلاً: «ما رأيك بتناول الطعام؟».

ـ نعم لمَ لا؟

ـ لا تقولي لي إنك تفضلين الخبز الفرنسي.

ـ حسناً، في الحقيقة. . .

تطلّع إليها من رأسها حتى أخمص قدميها، ثم تنّهد وقال ساخطاً:

www.elromancia.com

«هيا بنا. الفطور هنا هو أروع ما تقدّمه باريس، ولكن لا تهتمي للأمر. لنرحل من هنا ونبحث عن رغيف الخبز الطويل».

ـ الستير...

لكنه لم يكن ليتحمل الجدل. فقال لها: «سوف أزور حيّ الفقراء برفقة خبيرتهم».

***

٥ ـ ملك ووردة

وهكذا، بدلاً من تناول الفطور المكلف والباهظ الثمن في الفندق، استهديا إلى محلّ حلويات وراح الستير يبرهن لبيني روز بأنه ليس لديه أدنى فكرة عن معنى الفقر والتقشف.

وخرجا أخيراً من محلّ الحلوى ليجدا أمامهما كوماً مكدّسة من العنب والليمون اليوسفي في الكشك المجاور.

رفض سماع اعتراضاتها وتذمّرها بقوله: «لقد حرمتني فطور الفندق يا امرأة؛ فدعيني أشتري ما أريد».

وهكذا زوّد نفسه بما تيسّر من الطعام إلى حدّ أنهما لقيا صعوبة في حمل فطورهما، كانت تتقاذفها مشاعر الضحك والسخط في آن حقاً. لم يسنح الوقت لها لتطلق العنان لمشاعرها هذه، فقد أبرم الستير حكمه قائلاً: «هيا بنا إلى غابة بولونيا. إنّها الأقرب».

وكانت أيضاً المكان الأجمل.

كانت الشمس دافئة والمتنزه يعج بالأمهات وعربات الأطفال والأزواج المسنّين الذين يتمتعون بدفء الشمس والصغار الذين يلعبون أو يتسابقون. وكما يتصرّف الأمراء بحق وحقيق، وقع اختيار ألستير على شجرة وأصبحت بنظره شجرتهما. ثم أومأ لأحدهم عن بعد، وقبل أن تعرف عن الأمر شيئاً، رأت أمامها كرسيين طويلين تم إحضارهما

www.elromancia.com

خصيصاً لهما.

قال الستير وهو يتأمل المنظر بارتياح: «الفطور على الطريقة الباريسية».

ـ آه، أجل، على طريقة الأمراء الفرنسيين، أليس كذلك؟

ـ ألا تعجبك هذه الطريقة أيضاً؟

بدت على وجهه أمارات الخيبة والكآبة، وبذلت بيني روز جهداً كبيراً كي لا تضحك.

فجاء ردّها رقيقاً مرفقاً بابتسامة: «أكون معتوهة إذا لم أتمتع بكلّ هذا! لا يا الستير، لا تعجبني كلّ هذه الأشياء، بل أحبّها».

بعدئذٍ، أصبح التسوق أفضل من ذي قبل مع أنّ بيني روز لم تزل تعتبره عملاً غير مريحاً.

كانت باعتقادها، تشتري ثياباً لأميرة وليس لـ بيني روز أوشيا.

ما إن عزم الستير على مرافقتها، حتى أصبح يهتم بكلّ شاردة وواردة، وتولّى القيام بمهامّه بجدّية أججت اضطرابها وقلقها.

لم تعد كما هي. أصبحت زوجة الستير لسنة واحدة، وصورة المستقبل ازدادت اهتزازاً وتشويشاً.

إلا أن الستير كان راضياً ومسروراً. وفي الساعة الرابعة أبلغها أنّ مجموعة ثيابها أصبحت كاملة، ورافقها إلى متجر صغير، بعيداً عن الشارع العام.

فشرح الأمر بسرعة قائلاً: «قبل أن تسيئي فهمي أقول لك إنّ والدتي طلبت مني إحضارك إلى هذا المحل».

وتابع يقول وهو يبتسم بخبث: «قد يكون تبضّع هذا النوع من الثياب أجمل وأمتع ما في التسوّق».

وفيما حدّقت بيني روز في واجهة العرض، لم يسعها سوى أن

تشهق من الدهشة.

لم تكن مجرّد ألبسة نسائية داخلية بل ذروة في الذوق والإثارة؛ شتّان بينها وبين الألبسة الواقعية والعملية التي كانت ترتديها. وصاحت: «لا أستطيع شراءها!».

تلاشت ابتسامة الستير وهو يقول: «يجب أن تشتريها. فالخدم سوف يقومون بتنظيف ملابسك ويتوقّعون تنظيف ألبسة ذات جودة عالية».

عادت ابتسامته العريضة تشع، حملقت فيه باضطراب وارتباك؛ وقالت في سرّها: يا للحقير، إنه يتمتّع بهذا!

بطريقة ما، استردّت القدرة على الكلام قائلة: «وهل يا ترى سترتدي زوجتك مثل هذه الألبسة؟».

أومأ برأسه أيجاباً، وبدون تردّد على الإطلاق أجاب: «بالطبع سوف ترتديها».

سألته بحذر: «إذاً، سأشتري هذه الألبسة إرضاءً للغسّالة؟».

ـ هذا صحيح.

ـ وهل تفضّل الغسّالة لوناً معيناً؟

أشار بإصبعه إلى صديرية وسروال داخلي قرمزيي اللون وقال:

ـ أراهن بأنّ اللون القرمزي سوف يبدو جميلاً للغاية وسيكون له وقع شديد.

قالت وهي تحدّق فيه بانشداه: «على الغسّالة؟».

ـ تماماً.

حدّقت فيه بغضب وهي تتابع قائلة: «حسناً، بما أنّ هذا الأمر ينحصر بيني وبين الغسّالة، يمكنك البقاء بعيداً ريثما أنتهي من شراء هذه الالبسة».

www.elromancia.com

ـ مهلاً...

قاطعته بحزم قائلة: «الأمر يعنيني أنا والغسالة والبائعة. إذاً أخرج يا استاذ».

ـ الأمراء لا يخاطَبون بهذه الطريقة.

ـ يحق للأميرات مخاطبة أي كان كما يشأن. أضف إلى ذلك، أنت تبغي عروساً فاضلة عفيفة ومثل هذه العروس يستحيل مشاهدتها في محلّ كهذا خصوصاً برفقه أميرها وقبل أن يتزوجها.

فكّر ملياً في كلماتها الأخيرة ولم تعجبه. فعلّق بالقول: «أنت لا تلعبين دورك بصدق وأمانة».

ـ مَنْ هو الذي يمثّل بيننا؟

تشابكت نظراتهما.

وفجأة أصبح السؤال حقيقياً جداً جداً. فمن الذي يمثل دوره، وعند مَنْ يكمن الجواب؟.

ما يخيف في الأمر بالنسبة إلى بيني روز هو أنها في ذلك المكان الرفيع المستوى بدأت شيئاً فشيئاً تستمتع بوقتها. وبما أنّ الستير بقي خارجاً، أذعنت لرأي البائعة وراحت تقيس الطقم تلو الآخر، وكلّ هذه الألبسة الداخلية كانت أجمل ما رأت عيناها.

كانت تنظر إلى جسمها النحيل الجذاب المكسوّ بقطعة مخرّمة صغيرة للغاية، لا ريب في أنه قد تمّ قصّها من فضلة قماش، ولاحت ابتسامة عريضة على وجهها وهي تضيف لنفسها: أعتقد أني سأهب هذه الملابس إلى مؤسسة خيرية عندما ينتهي الزواج. وبضحكة خافتة وبذراعين مليئتين بالعلب والأكياس خرجت بيني روز إلى الشارع لملاقاة أميرها الذي ينتظرها.

لكنّ أميرها لم يكن في المكان الذي رأته فيه آخر مرة. فهناك رأت

كلب صيد صغيراً، كان فروه متلبداً ومتسخاً وقد امتدّ جرح عميق وناتىء على طول جنبه.

كان الشارع الرئيسي مزدحماً بالناس والأقدام متجهة إلى كل ناحية.

وسرعان ما كان ذلك المخلوق البائس الصغير مدفوعاً إلى وسط الطريق وعرفت كيف أصيب بذلك الجرح. كان يسير في الاتجاه ذاته مجدّداً.

وبصرخة ملؤها الفزع صاحت: «لا!».

وألقت العلب والرزم على الطريق واندفعت كالسهم وراءه. ثم تناهى إلى سمعها صوت كبح فرامل، وفي اللحظة التالية كانت على الأرض وذراعاها تحضنان الكلب.

وسمعت صوتاً يناديها: «روز!».

كان الستير ينتظرها بصبر. كان يمشي في الشارع، يتفرّج على واجهات المحالّ يبذل قصارى جهده كي ينأى بتفكيره عن زوجته العتيدة وما تقوم به في المحلّ. لهذا لم ينتبه إلى الكلب. وأوّل ما تنبّه إلى رؤيته هو روز المندفعة وسط زحمة السير الباريسية الخانقة.

وانتابه الهلع والذعر وهو يتساءل: «ماذا يجري بحق السماء؟».

ثم اندفع بقوة وسط الشارع متجاهلاً السيارات التي كبحت فراملها فجأة.

وبصوت هامس أجشّ سألها وهو ينحني فوقها: «هل أنتِ... هل أنتِ بخير؟».

وزفر نفساً طويلاً وهو يناجي ربه، وسألها مجدداً: «ماذا... ماذا تفعلين بحق السماء؟».

ولم تشعر إلاّ بألستير يرفعها بيديه وينقلها ثانية إلى جادة المحلاّت

www.elromancia.com

ويصيح في وجهها: «هل أصابك مسّ في عقلك؟».

لكنّ بيني روز لم تسمعه ولم تنتبه لشيء، ولا حتّى عندما حملها مجتازاً الرصيف إلى مدخل المحلّ. عيناها لم تفارقا الكلب الذي كانت تحمله. أقعدها الستير أرضاً ولم تزل تجسّ الكلب بأصابعها متبيّنة مدى الضّرر الذي ألحقت به.

جثا الستير على ركبتيه بجانبها وقال: «دعيني أتحقّق بنفسي».

تابع يقول: «هناك مؤسسات ترعى وتأوي الحيوانات الشاردة وهناك جراحون بيطريون في كل ناحية. سأوقف سيارة أجرة وسنأخذه إلى أقرب طبيب».

تنفست الصعداء فقد أيقنت حينئذٍ أنه لم يتفاعل مع هذا الحادث مثل والدها الذي كان سيلقي نظرة واحدة على الكلب قبل أن يقتله. لكن الستير كان مختلفاً عنه! فأول ما فكّر به هو الطريقة المثلى التي تمكّنه من مساعدة الكلب. وبانهيار شديد قالت لنفسها: «إنه رجل مميّز، بل هو أمير مميّز!».

ـ هيا بنا. لا يمكنك البقاء هنا.

قال الستير هذا بحزم وتطلّع إلى الشارع وابتسامة ملؤها الشفقة ترتسم على شفتيه.

لأول مرّة أخذت تنتبه للمكان الموجودة فيه. كانت جالسة على الأرض ورجلاها متسختان. لقد أضاعت فردة حذائها وكان الكلب الصغير مكوّماً في حضنها. بذلتها الصفراء الباهتة كانت متسخة كما كان هناك بعض الدم على تنورتها وقالت في سرها إن منظرها لا بد من أن يكون... ولم تكمل الجملة، فقد لمع بالقرب من وجهها نور إحدى الكاميرات. رفعت بصرها مبهورة ولمع النور ثانية.

وفي تلك اللحظة، سمعت الستير يصرخ في وجه الرجل: «دعها

وشأنها».

وما إن التفتت أنظار الرجل إليه، حتى اتسعت حدقتا عينيه من الدهشة: الستير دي كالستالييه بشحمه ودمه أمامه! لم يكن الستير معروفاً في باريس كما كان معروفاً في إمارته، لكنّ هذا المصوّر...

خلال الثواني الثلاثين التالية التقط أكثر من اثنتي عشرة صورة. صوّرهما على الرصيف وصوّر الفتاة وهي تحاول أن تحمي الكلب وتبعده عن أنوار الكاميرا وصوّر الستير وهو يستخدم جسده لحمايتها.

تنهّد الستير وقال وهو يبعد يده عن بيني روز: «لقد انكشف أمرنا. هل من مجال لعقد صفقة؟».

ـ أي نوع من الصفقات تريد عقده معي؟

فقال للمصوّر: «سوف نقوم بإعلان نبأ رسمي نهار الجمعة، لدى رجوعنا إلى الإمارة. أتودّ الحضور؟».

أجاب: «بالتأكيد».

وقال الستير: «إذاً أجّل نشر هذه الصور وامنحنا يوماً آخر ننعم فيه بهدوء البال».

ـ أستتزوج هذه الفتاة؟

اطال الرجل النظر في بيني روز وحاول كسب ضربة رابحة عندما سألها: «هلا كشفت لي عن اسمك؟».

وسارع الستير إلى القول: «كما قلت، سوف نقوم بإعلان نبأ رسمي نهار الجمعة».

وهنا تناول ألستير بطاقة تعريف مهنية وكتب بعجلة شيئاً ما عليها.

وقال للمصوّر: «خذ هذه البطاقة واتصل على هذا الرقم وأسأل عن «ومينيك؛ وهو سيؤمنّ لك عودة مجانية على متن الطائرة».

تردّد الرجل وتساءل: «ألن يسبقني أحد بنشر الخبر؟».

www.elromancia.com

ـ لن يسبقك أحد إذا أطبقت فمك لمدة أربع وعشرين ساعة.

ابتسم المصور الذي أضاف: «استمتع يوماً آخر برفقة السيدة والكلب و. . .».

واتسعت ابتسامته وتابع قائلاً: «والألبسة النسائية الداخلية».

صدرت عن بيني روز شهقة حين تذكّرت ما جرى. لقد القت أغراضها جانباً فيما راحت تندفع وراء الكلب. وهي الآن تجلس بين مجموعة من. . . آه تباً!

قال ألستير وهو ينظر إلى الثياب النسائية الحريرية المبعثرة: «أيمكنك أن تحذف هذا المشهد؟».

ثم نقبّ في محفظته وأضاف: «سأدفع لك مبلغاً كبيراً».

وردّ الرجل: «حذف هذا المشهد لا يقدر بثمن».

توقفّت سيارة الأجرة وساعد ألستير بيني روز في النهوض، وصعدت إلى السيارة بسرعة بكلّ امتنان ولم تزل متشبثة بالكلب.

كان المصوّر لجوجاً هذه المرة عندما قال: «أريد أن أعرف فقط، هل ستحتفظان بالكلب؟».

والتفت ألستير إلى روز.

أدرك أنه لم ير في حياته شخصاً متخبطاً في الوحدة إلى هذا الحدّ. واستدرك قائلاً لنفسه: إنها ليست وحيدة. كانت معه وهو بحاجة إليها. وإن لم يحترس فسوف يضيّع على نفسه زوجة!

كانت تتمسك بالمخلوق الصغير الذي يثير الشفقة وكأنما تحتاج إليه أكثر ممّا يحتاج إليها.

وأجاب الستير المصوّر بعزم: «نعم».

أقلّهم سائق سيارة الاجرة إلى أقرب طبيب بيطري.

لبثا صامتين فيما اهتم الطبيب البيطري بالكلب الصغير، فنظفّه

وقطّب الجرح البليغ في جنبه وفحص ساقه.

وأخيراً قال: «خذاه إلى المنزل وأطعماه وجبة خفيفة. لا تفرطا في إطعامه لأن معدته ليست معتادة على هضم الكثير من الطعام. اعتني به جيداً، آنستي».

قالت متلعثمة وهما يخرجان مجدداً إلى الشارع: «لا أعتقد أنه بإمكاني تربيته».

تطلّعت إلى عيني الستير فرأتهما تراقبانها بوقار. أضافت: «ففي نهاية السنة عليّ الرجوع إلى بلدي».

ابتسم الستير قائلاً: «سأعتني به فنحن صديقان، أليس كذلك؟».

ونظر إلى الكلب الشريد بحزن، ثم ابتسم وقال:

ـ أظن أن في قصري مكان لإيواء كلب صيد ارستقراطي.

حبست بيني روز أنفاسها لدى سماعها عرضه السخيّ هذا. وقالت: «أنت تمزح، أليس كذلك؟».

ـ وهل أمزح بشأن أمر يعني لك الكثير؟

وبذلت كلّ جهدها كي تحافظ على نبرة صوتها العادية رغم أنها أحسّت بدموع الامتنان تترقرق في عينها، فحبستها، وتمكنت من القول: «كلب ارستقراطي! لا أعتقد أنه كذلك؟».

ـ سوف يبلي بلاء حسناً.

توقفت ملياً عند جملته هذه وقالت: «كما سأبلي بلاء حسناً في القيام بدور زوجتك والادعاء والتظاهر إلى أن تنجلي الحقيقة».

ـ هذا صحيح.

رفعت رأسها بعزم وقالت: «حسناً، هيا بنا. خذنا إلى المنزل. أنا، زوجتك المؤقتة وكلبك الارستقراطي. يا له من ثنائي وُفّقت في جمعه يا ألستير دي كاستالييه».

www.elromancia.com

تمتم الستير قائلاً: «أعتقد أنني موفّق حقاً».

ولم يبد البتّة كرجل يجابه عوائق وعقبات جمّة يصعب حلّها.

لدهشتها، لم تقلّهم سيارة الأجرة مجدداً إلى الفندق. فقال لها الستير: «لقد قمت بترتيبات مختلفة أثناء وجودك في المحل، أجريت بعض الاتصالات الهاتفية وتم نقل حقائبنا».

بانت الابتسامة العريضة على فمه وهو يضيف: «ربما كان هذا أفضل. إحساس ما يساورني بأنّ سكروفي سوف يرتاح أكثر هناك».

اختلط عليها الأمر، فتساءلت: «سكروفي؟».

أجاب: «إنه الكلب».

قالت منزعجة: «اسمه ليس سكروفي».

ـ وبماذا ستنادينه إذن؟

قالت: «سكروفي، يا له من اسم! سوف أدعوه ليو، أي الملك».

قال لها: «إذاً لدي ملك ووردة».

لكنه بدا وكأنه يخاطب نفسه حين أضاف: «ماذا يخبىء لي القدر بعد؟».

اتجها إلى الفندق الذي اختاره والذي كان متعة حقيقية للنظر.

دخلت بيني روز من الباب الخارجي وكان ذهولها كبيراً إلى حدّ الصمت وعدم القدرة على الكلام. فالفناء كان مزركشاً بالأزهار والنباتات، يتوسطه حوض ماء يعجّ بالأسماك.

أمّا غرفة نومها فكانت في منتهى البساطة. غطاء السرير ناصع البياض والمناشف بيضاء ناعمة الملمس والحمام خالٍ من الأدوات الباهظة الثمن. ووجدت في الغرفة سلّة للكلب!

نظرت إلى الستير مستفهمة. كيف تمكّن من تدبير هذه السلة؟

أوضح لها الامر قائلاً: «أطلعت صاحبة الفندق على وضعنا وقد

تحرّكت على الفور. سيحضر أحدهم في أي لحظة حاملاً شريحة لحم لأجل ليو».

بدأت بالقول: «آه يا ألستير...».

أحست أنها على وشك البكاء. فقد أثار عواطفها كما لم يستطع أي شخص آخر القيام بذلك قبلاً. وكالعادة، عندما تتمكّن منها العاطفة، تلجأ إلى المواضيع العملية. قالت بكلّ تجرّد: «شكراً لك. ولكن كيف عسانا نأكل؟».

ـ نحن في وسط المنطقة التي يتواجد فيها الطعام الأفضل في باريس. بإمكاننا تناول الطعام متى نشاء.

لقد سبق وفعل الكثير، وما ستقوله صعب عليها: «أقصد... لا أستطيع أن أترك ليو».

ـ عرفتُ أنك ستقولين هذا.

ابتسم لها تلك الابتسامة التي توقف القلب وتهزّ الكيان. أضاف: «ليست هذه بمشكلة. ففيما تطعمين ليو، سأحضر الطعام لكلينا. يمكننا تناول الطعام في الهواء الطلق ليوم واحد!».

ـ آه، نعم.

لم يسعها التفكير بأمر أكثر روعة.

* * *

www.elromancia.com

٦ ـ لا تمنح قلبك لأحد!

حين فرغا من تناول الوجبة الأساسية، أدركت بيني روز أنها صعدت إلى الجنّة وعادت منها. كان طعاماً معدّاً بمهارة فائقة ولم تصدّق بيني روز ما رأته عيناها، ولم تأكل بهذا الشكل في حياتها.

قالت: «لا أصدق أنك أتيت بكلّ هذا».

بدا معتدّاً بنفسه؛ وسرور روز الشديد حمله على الابتسام.

تناولت حبة فريز ووضعتها بسرعة في فمها، وتنهّدت من فرط هناءها وقالت: «أتعلم أني قد أذهب إلى بلدي بعد اثني عشر شهراً من الزواج وأنا بحجم البيت؟».

ـ هذا يروق لي.

اختفت ابتسامتها وهي تفكّر بالأمر قائلة: «أعتقد... إنْ أصبحت بدينة، سيكون لك حجة كافية لتطلّقني».

ـ أشك أن يسلّم الناس بصحة هذا العذر.

فجأة راح يفكر في سرّه: تباً، ما الذريعة التي سيتحجّج بها للطلاق؛ الافتقار إلى الانسجام المتبادل؟ كلّما ازدادت معرفته بها وجد هذا العذر واهياً.

قالت: «فيما يتعلق بي، سيكون العذر هو الحنين إلى الوطن والأسرة».

كانت تراقب وجهه وعرفت ما يدور برأسه، فتابعت تقول: «أو سأكتشف فجأة علاقتك بـ بيل».

ـ ولم تعلمي بأمر بيل قبل ذلك؟

أجابته بابتهاج: «كنت حمقاء وغبية. أستطيع أن أكون كذلك متى أشاء».

قرّرت أن تعترف له بكلّ شيء: «هل تعلم أنه في اليوم الذي سبق مجيئنا إلى هنا بدأت بإضافة طبقة رابعة على جداري دون أن أضع حجارة داخلية؟».

لم يفهم ما تقول، فكرّر متسائلاً: «حجارة داخلية؟».

أجابته بطول أناة: «حجارة تمتد عبر الجدار لتربط بين الأطراف. اسأل بيرت عن مدى غباوة مثل هذا العمل».

ـ إنها خطيئة لا تغتفر.

ردّت بسرعة: «تستطيع قول ذلك إذا وقع جدارك بعد مئتي سنة».

ابتسم وعلّق قائلاً: «سأنتظر وأترقب مجريات الأمور».

ـ وستخصم كلفة الترميم من أجري، أليس كذلك؟.

ـ أو من أجور ابناء أحفادك وحفيداتك.

برقت عيناها الخضراوان وأعادت على مسمعه عبارة عالقة في ذاكرتها: «راحة المستخدم تأتي في المقام الأول».

ابتسم لسماع ذلك وقال: «ممتاز؛ أعجبني هذا القول. ولا يريحني الأمر إن هبط جداري».

انتهى النهار وبدت متعبة ومرهقة لكنها استحمّت وارتدت بنطالها القديم الباهت وسترتها القطنية. فبدت نضرة وجميلة، إلا أنها كانت مختلفة كلياً عن النساء اللواتي يعرفهن.

ارتأى أنه من الممكن اعتبارها سندريلا حقيقية. لكنه استدرك قائلاً

www.elromancia.com

لنفسه أنه إذا أتت عرّابتها الجنية حاملة عصاها السحرية فلن يسمح لها بالتلويح بها.

بدأت أفكار بيني روز المشوشة تهدأ. لاحظ الستير النظرة على وجهها فسألها: «ما الخطب؟».

هزت رأسها وقالت: «لا شيء».

ـ لكن هناك ما يزعجك.

ـ كلا. كل ما في الأمر...

حاولت البحث عن تفسير، أي تفسير، لأن قول الحقيقة ليس ملائماً على الاطلاق. تابعت تقول: «هناك شيء نسيت أن اقوله لـ بيرت ولكن كل شيء سيكون على ما يرام».

ـ هل ما زلت قلقة بشأن الحائط؟

وجة لها السؤال بطريقة ساخرة لإغاظتها، ولكن القلق في نبرة صوته عمّق إحساسها بالصدمة، لأنها أدركت في تلك اللحظة ما يحصل لها. لا شك في ذلك؛ لم يحصل لها مثل هذا من قبل. قد قرأت عنه قبلاً ولكنها لم تصدق أنه حقيقي.

النجدة!

كان الستير يقول: «بإمكاننا العودة غداً إلى البيت، وتعاودين بناء الجدران. كلّ ما بقي علينا القيام به هو تدبير فستان العرس».

كان عليها بذل جهدٍ كبير كي تركّز انتباهها. لقد اكتشفت لتوها ماهيّة شعورها، وقد يبدّل ذلك حياتها إلى الأبد.

أخذت تفكّر بقنوط أن هذا الزواج التزام جدّي وهذا الرجل أمير يطلب يدها لزواج قد يدوم لسنة فقط.

بعد الصدمة التي تلقاها أثر موت ليزا أصبح ألستير حذراً جداً في تورطه بأي علاقة. كلّ ما كان يبتغيه هو زوجة مناسبة... وهي ستصبح

تلك الزوجة لمدة سنة وبعد ذلك ستأتي زوجة مناسبة أخرى... بيل.

ولكنها مغرمة به بطريقة أو بأخرى. لا بل أنها غارقة في حبّ الستير دي كاستالييه حتى أذنيها، ولم تدر ماذا ستفعل حيال الأمر. لكنها أدركت أنها عندما تقسم على عهد الزواج لن تتمكن من الكذب.

قالت له وهي تحاول المحافظة على هدوء صوتها.

ـ لا أعتقد أنني سأشتري فستان العرس.

قطّب جبينه وسألها دهشاً: «لمَ لا؟».

تردد وهو يرى على قسمات وجهها معالم الوحدة والتعاسة، ثم أضاف: «لا تفكرين بالانسحاب. أليس كذلك؟».

كان صوته مضطرباً، وتساءل في سرّه قلقاً: ماذا لو انسحبت الآن؟

وتابع: «هل ستتزوجينني؟».

أجابته ممازحة: «ما الذي فعلتُه في الساعات الأخيرة لكي أبدل رأيي. كنت خطيباً نموذجياً... في الواقع أنا أفكر في ما اقترحته أمك».

قطب جبينه وقال: «ولكن... خلت أنك رفضت الفكرة. وأن زوجتي الحقيقية هي التي سترتديه».

ـ بيل لا تريد ارتداءه. وأنت قلت إنني سأكون زوجتك الشرعية لمدة سنة.

استلقت بيني روز تلك الليلة في فراشها وهي تفكر وتسائل نفسها: ماذا فعلت؟

إلى جانبها، كان ليو مستغرقاً في نوم عميق. لقد امتلأت معدته بالطعام، ربما للمرة الأولى في حياته وسكنت آلام جراحه بعد أن تناول الادوية المسكّنة.

راحت بيني روز تخاطب ليو المسترسل في النوم قائلة: لقد

www.elromancia.com

لنفسه أنه إذا أتت عرّابتها الجنية حاملة عصاها السحرية فلن يسمح لها بالتلويح بها.

بدأت أفكار بيني روز المشوشة تهدأ. لاحظ الستير النظرة على وجهها فسألها: «ما الخطب؟».

هزت رأسها وقالت: «لا شيء».

ـ لكن هناك ما يزعجك.

ـ كلا. كل ما في الأمر...

حاولت البحث عن تفسير، أي تفسير، لأن قول الحقيقة ليس ملائماً على الاطلاق. تابعت تقول: «هناك شيء نسيت أن اقوله لـ بيرت ولكن كل شيء سيكون على ما يرام».

ـ هل ما زلت قلقة بشأن الحائط؟

وجّه لها السؤال بطريقة ساخرة لإغاظتها، ولكن القلق في نبرة صوته عمّق إحساسها بالصدمة، لأنها أدركت في تلك اللحظة ما يحصل لها. لا شك في ذلك؛ لم يحصل لها مثل هذا من قبل. قد قرأت عنه قبلاً ولكنها لم تصدق أنه حقيقي.

النجدة!

كان الستير يقول: «بإمكاننا العودة غداً إلى البيت، وتعاودين بناء الجدران. كلّ ما بقي علينا القيام به هو تدبير فستان العرس».

كان عليها بذل جهدٍ كبير كي تركّز انتباهها. لقد اكتشفت لتوها ماهيّة شعورها، وقد يبدّل ذلك حياتها إلى الأبد.

أخذت تفكّر بقنوط أن هذا الزواج التزام جدّي وهذا الرجل أمير يطلب يدها لزواج قد يدوم لسنة فقط.

بعد الصدمة التي تلقاها أثر موت ليزا أصبح الستير حذراً جداً في تورطه بأي علاقة. كلّ ما كان يبتغيه هو زوجة مناسبة... وهي ستصبح

تلك الزوجة لمدة سنة وبعد ذلك ستأتي زوجة مناسبة أخرى... بيل.

ولكنها مغرمة به بطريقة أو بأخرى. لا بل أنها غارقة في حبّ الستير دي كاستالييه حتى أذنيها، ولم تدر ماذا ستفعل حيال الأمر. لكنها أدركت أنها عندما تقسم على عهد الزواج لن تتمكن من الكذب.

قالت له وهي تحاول المحافظة على هدوء صوتها.

ـ لا أعتقد أنني سأشتري فستان العرس.

قطّب جبينه وسألها دهشاً: «لمَ لا؟».

تردد وهو يرى على قسمات وجهها معالم الوحدة والتعاسة، ثم أضاف: «لا تفكرين بالانسحاب. أليس كذلك؟».

كان صوته مضطرباً، وتساءل في سرّه قلقاً: ماذا لو انسحبت الآن؟ وتابع: «هل ستتزوجينني؟».

أجابته ممازحة: «ما الذي فعلتُه في الساعات الأخيرة لكي أبدل رأيي. كنت خطيباً نموذجياً... في الواقع أنا أفكر في ما اقترحته أمك».

قطب جبينه وقال: «ولكن... خلت أنك رفضت الفكرة. وأن زوجتي الحقيقية هي التي سترتديه».

ـ بيل لا تريد ارتداءه. وأنت قلت إنني سأكون زوجتك الشرعية لمدة سنة.

استلقت بيني روز تلك الليلة في فراشها وهي تفكر وتسائل نفسها: ماذا فعلت؟

إلى جانبها، كان ليو مستغرقاً في نوم عميق. لقد امتلأت معدته بالطعام، وربما للمرة الأولى في حياته وسكنت آلام جراحه بعد أن تناول الادوية المسكّنة.

راحت بيني روز تخاطب ليو المسترسل في النوم قائلة: لقد

www.elromancia.com

أعطاني حلماً لمدة سنة، ولا يسعني أن أطلب المزيد.

خلال الأيام القليلة الماضية، حصل شيء غريب.

لقد تغيرت مشاعرها حتى أنها لم تستطع معرفة نفسها.

فهمست لليو: لقد وقعت في الحب. ساعدني يا ليو. وقعت في حب هذا الرجل. ماذا أفعل الآن؟

أبقى مكتوفة اليدين؟

راحت تتحدث بصوتين: صوت العقل وصوت الأمل.

- ولكن أستطيع أن احاول يا ليو... لا بل سأبذل كل جهدي. يا الهي ساعدني! ليس لدي خيار أخر.

اضاءت النور بتصميم مفاجيء وتوجهت إلى حيث وضعت مشتريات النهار. ووقفت أمام المرآة.

كانت في تلك اللحظة ترتدي قميص نوم أبيض من الحرير الخالص.

خاطبت نفسها في المرآة قائلة: لن أضيّع هذا الجمال من أجل الغسالة. يجعلني أبدو جميلة تقريباً.

أجمل من بيل؟

وراحت تحدّق بانشداه وتقول في نفسها مجدّداً: جمال بيل ليس مهماً، فهي لا تحبه.

بينما هي تحبه!

كان الستير نائماً في الجهة الأخرى يفصل بينهما باب خشبي. وكلّ ما استلزم منهما القيام به هو أن يدير كلّ منهما المفتاح من جهته.

خلعت عنها قميص النوم وتناولت البيجاما وهي تقول: «لن استخدم الإغواء، بل سأحب هذا الرجل بكل قدرتي. في الحب والحرب كل شيء مباح. وهذه معركة مزدوجة!»

وفي الغرفة الثانية تمدد الستير وحدق بسقف الغرفة، فهناك أشياء تجري في حياته لم يعد يفهمها.

فقد بدأ كلّ شيء واضح المعالم. لقد قرر بعد موت ليزا ألاّ ينساق وراء عواطفه وقد نجح. سارت حياته حسبما كان يشتهي. فكانت لديه مهنة يفتخر بها وأموال تفوق حاجته. ولديه بيل التي تريد إنجاب عدد قليل من الأولاد.

أولاد...

تخيّل الستير أولاده وهو ينظر في العتمة، فبدوا له هادئين لكن أمراً غريباً كان يجري: فبدل أن يلمح جمالاً على وجوه أطفال لا يعرفهم كماكان يفعل في السابق، بدا له وجه بيني روز ماثلاً أمامه. لمَ في عيون أولاده بريق كالبريق الذي يلوح في عيني روز؟ ولمَ وقاحتهم شبيهة بوقاحتها؟ صاح في سرّه: يا إلهي! إن كانوا يمتازون بشخصية كشخصية بيني روز، فكيف لا أحبهم وأحب أي شيء كان...

لكن قلب والدته تحطم عند وفاة والده، وأحشاؤه تمزقت حين قُتلت ليزا التي كانت خير صديقة له، فكان الجرح اليماً للغاية وعميقاً.

كان الدرس قاسياً، لكنه تعلّمه جيداً وحفظ العبرة عن ظهر قلب: لا تمنح قلبك لأحد.

لم يكن يمنح قلبه وحبّه الآن. كان زواجاً مبنياً على المصلحة. ماذا قالت له روز؟ إنّ راحة المستخدم تأتي في الدرجة الأولى. وما عساه يكون سوى مستخدم، إذ كان يدفع لها المال لقاء أن تكون زوجته لمدة سنة. ومن ثم ترحل إلى موطنها، وتتركه مع بيل.

راح يتقلّب في فراشه محاولاً ألاّ يتخيل روز وهي ترتدي فستان عرس أمه، أو نائمة الآن حيث لا يفصل بينهما سوى جدار واحد. وتساءل إن كان بإمكانه أن يسمعها فهو يسمع همهمة من وراء الباب.

www.elromancia.com

ربما كانت مستيقظة وتشعر بالوحدة. كلّ ما عليه القيام به هو تناول المفتاح و. . .

وصاح في سرّه: لا! هذا جنون!

كيف يمكنه ابعادها عن فكره وحياته؟

قرّر أن يتصل بـ بيل، لعلّها تجعله يكف عن التفكير بهذا الشكل. سيحدثها عن مشروع بالمرستون الذي كانا منكبّين عليه سوية. فلن ترى بيل في الأمر أي غرابة.

كانت الساعة الواحدة فجراً!

أعاد السماعة إلى موضعها وهو يبتسم رغماً عنه. لم تكن فكرة سديدة، فستراها بيل مكالمة غريبة من نوعها ولن تكف عن السخرية والاستفسار والانتقاد.

لكنه يجب أن يتحدث إلى أحد ما وإلاّ أصابه الجنون.

قال بصوت عالٍ وكأنه يخاطب العتمة: كلّ ما احتاج إليه هو ليو آخر. لا أدري إن كانت روز ستسمح لي بمشاطرتها إياه.

كان المفتاح في يده، فأخذ يشدّ عليه بقوة إلى درجة الإيلام.

* * *

٧ ـ قصة غرام ملكية

طمأنها الستير قائلاً: «اتركي لي حريّة التصرّف والكلام».

كانت بيني روز تتهيأ للتقدّم خطوة إلى الأمام وتترقّب إعلان خطبتها على الستير. فبناء على دعوتهما لعقد مؤتمر صحفي، غصّت قاعة القصر بأهل الصحافة الذين لبّوا الدعوة؛ وكانت بيني روز تكبح رغبتها الجامحة في الفرار إلى استراليا. فراحت تحلّل الموقف وتقول في سرّها بيأس: ربما تمكنت من استعادة توازني وتمالك أعصابي منذ عودتي من باريس. ربما استطعت أيضاً أن أتخذ بعض القرارات. لكني لست من النوع الذي تستهويه الأضواء، ولا أفلح في هذا المجال. فقالت: «ربما هذا هو المضمار الذي تتفوّق فيه بيل عليّ. ألا تستطيع زوجة أخرى أن تحلّ مكاني في هذا المؤتمر الصحفي؟»

لفت الستير انتباهها بالقول: «أنتِ هي الزوجة البديلة».

كشّرت وهي تقول في سرّها: عظيم! وكأني بحاجة إلى أن تذكّرني بذلك.

تابع الستير قائلاً: «لا داعي للقلق، دعي الأمر لي».

قالت بمرارة: «لا يسعني إلاّ أن أدع الأمر لك بما أنني غير متمكّنة من اللغة الفرنسية».

ثم أخذت نفساً عميقاً واستجمعت قواها.

www.elromancia.com

قال ألستير: «كما قلت، ربما من الأفضل أن أتولى أنا الحديث. معظم الصحافيين متمكنون من اللغة الانكليزية ولكن...».

قاطعته بيني روز وهي تومىء برأسها موافقه ومتفهمة: «لكنك لا تريدني أن أفسد الأمر بتجاوز الحدود المرسومة لي. حسناً، أعرف مقامي جيداً، فنحن مثيلات سندريلا مقدّر علينا أن نجلس ونتصنع الابتسام وأن نبدو جميلات وأن نأمل من كلّ قلبنا ألاّ تنكشف الحقيقة».

ـ روز...

رفعت يديها قائلة: «أعرف. أعرف، فأموال طائلة تُدفع لي وسأحسن التصّرف، أعدك بذلك».

ثم اختلست النظر من خلال ثقب الباب وهي تحاول أن ترى وتعرف ما ينتظرهما. قالت: «أتساءل إن كان المصوّر الذي رأيناه في باريس هنا».

ـ سيكون هنا.

قالت مرغريت وهي تخطو في الغرفة وترتّب ربطة عنق الستير وتضع اللمسة الأخيرة من البودرة على أنف روز: «يكون مخبولاً إذا لم يحضر. أميرة جديدة... هذا ما ينتظره أهل الصحافة منذ سنين».

قال الستير: «لن ندعهم ينتظرون أكثر إذاً».

فتح الباب على مصراعيه مخاطباً بيني روز: «دعي مهمة الكلام على عاتقي!».

إلا أنها لم تستطع بالطبع، لأنه بعد الإعلان المختصر، لم يرغب الصحافيون بسماع الستير فقط، إذ كانوا يعرفون هذا الرجل حقّ المعرفة فيما لم يعرفوا السيدة التي كانت معه. وبدا أنهم قد فتنوا بها. سألها أحد الصحافيين بالانكليزية: «أخبرينا عنك».

تردّدت بيني روز في الاجابة امتثالاً لتعليمات الستير، فقالت:

«أيمكن أن أترك أمر الإجابة عن هذا السؤال...».

ـ لا.

هكذا كان ردّهم على طلبها، وقبل أن يتمكن الستير من التفوه بأول كلمة، الحّوا عليها أكثر بالقول: «أخبرينا عن رأيك في بلدنا».

فقالت لهما بصراحة: «هذا اجمل بلد زرته في حياتي».

وبالرغم من شعورها بالقلق، ومضت عيناها وهي تضيف: «من بعد بلدي طبعاً».

ـ هل تحبين استراليا؟

ـ بالطبع.

ـ ما الذي يلفت انتباهك هنا؟

جال بصرها في انحاء الغرفة والتفتت إلى خطيبها العتيد. نظرت إليه من رأسه حتى أخمص قدميه وهي تتأمل بذلته وربطة عنقه الجميلة وعينيه الضاحكتين. وارتسمت علامات الضحك على وجهها قبل أن تجيب قائلة: «وهل من حاجة إلى سؤال كهذا؟».

شاركها جميع من في الغرفة في الضحك.

لقد أثارت اعجاب الجميع ومحبتهم. وراحت أضواء آلات التصوير تلمع من كلّ حدب وصوب والاسئلة تتكاثر. سألها أحدهم مستوضحاً: «يقال إن هذا الزواج مبني على المصلحة، ما هو ردّك؟».

همّ الستير بالرد ولكن زوجته العتيدة أمسكت بزمام الأمر وتولّت الرد بنفسها ولم يكن باستطاعته ايقافها، فأجابت والبريق في عينيها: «إنهم محقون بالطبع. اعتقد أنكم تعرفون الشروط المتوجّب على زوجي العتيد أن ينفذها كي يحظى بالميراث. فإذا لم يتزوج، سوف تزول الامارة مما سيسبّب الكثير من المشقّات».

جال نظرها على أعضاء المؤسسات الصحفية وكأنها تتحدث إلى

www.elromancia.com

كل منهم بمفرده. ففي خلال لحظات، جعلت هذا اللقاء يبدو حديث أصدقاء. وقالت: «من المناسب لألستير أن يتزوجني كما هو من المناسب لي أن أتزوجه».

ابتسمت ومدّت يدها لتلمس يده برقة.

ثم سألتها احدى المراسلات وهي تحاول أن تكتشف شيئاً: «أنت تحبينه».

وبدون أي ارتباك، قالت بيني روز ببراءة: «بالطبع، ألا تحبينه أنت؟ خلتُ أن الجميع واقع في حبه».

عمّ الضحك في الغرفة ثم توجه الحاضرون بأسئلتهم لألستير ثانية: «ما الذي يميز هذه الليدي؟».

أخذ الستير نفساً عميقاً. ولكن فجأة، تبخّر الجواب الذي حضّره لأن لمسة يدها والطريقة التي تعاملت بها في هذه المناسبة المرعبة أفقدتاه رباطة جأشه كلياً فقال وعلى الفور:

ـ إذا لم يكن باستطاعتكم أن تلمسوا الجواب، فلا بد أنكم عميان.

كانت نبرة صوته تدل على الصدق مما استوقف بيني روز.

سألها أحدهم: «أين خاتم الخطوبة؟».

فرفعت يدها لتظهر خاتماً متوارثاً في العائلة مما استحق لفت انتباه أهل الصحافة.

حدقت بيني روز ملياً في خاتمها، وقد أثارت حجارته الثمينة اعجابها. كان الستير قد قدّمه لها هذا الصباح ولم تكن قد اعتادت بعد على ثقل وزنه.

أبعدت نظرها عن الستير لترى المصوّر الذي التقياه في باريس يبتسم لها بابتهاج من مكان بعيد في الغرفة قائلاً: «اين الكلب الذي عثرت عليه؟».

ـ أتقصد ليو؟

ـ ليو!

أجاب المصوّر مبتسماً: «لم أتفاجأ بإعطائك إياه مثل هذا الإسم الغريب».

ذُهل سائر الصحافيين الموجودين في القاعة بما يجري. فشرح المصوّر الموقف لهم قائلاً: «كان شارداً».

ربّما كان يتقدّم سبقاً صحافياً، إلا أنه كان الوحيد الذي يمتلك الصور الملتقطة في باريس، وإثارة الاهتمام لا تلحق أي ضرر أو أذية؛ فأضاف: «الليدي أنقذته».

لفت الخبر اهتمام الجميع وأسرهم كما فعلت النظرات المتبادلة بين بيني روز والستير. هذه هي القصة التي لطالما رغب الناس في سماعها إذ أنها تثير اهتمامهم.

القراء يرغبون في قراءة قصة رومنسية.

ـ هل يمكننا رؤية كلبك؟

رفعت بيني روز حاجبيها ونظرت إلى الستير الذي أومأ برأسه قليلاً كي يلحظه الآخرون. كانت عيناه تقولان لها: قومي بأي شيء يخفف تسليط الأضواء علينا.

فذهبت إلى المكان أو الجناح المخصّص لليو.

سمعت أحدهم يسأل الستير وهي تغادر الغرفة: «هل صحيح أن الآنسة أوشيا تعمل في بناء الجدران؟».

أجابه الستير: «بالطبع. هذه مهنة غير عادية ولكن عليك أن توافقني الرأي بأن الآنسة أوشيا ليست امرأة عادية».

ـ لم تقابل امرأة مثلها في حياتك قط؟

ـ ولماذا تخالني سأتزوجها؟

www.elromancia.com

هذا كان آخر ما سمعته وهي تترك الغرفة. استطاعت أن تستعيد رباطة جأشها نوعاً ما بينما كانت تحمل ليو بين ذراعيها.

ـ أليس رائعاً؟

ولم يكن أحد مستعداً لمخالفتها الرأي.

ثم اتجه أحدهم صوب الستير قائلاً: «هل تحب الكلب أنت أيضاً؟».

ابتسم الستير وهو يقول في سرّه: الكلب... آه، صحيح الكلب.

كان ينظر إلى السيدة. أجاب: «نعم أحبه».

همس أحدهم: «يظهر أنه زواج حبّ».

كان هذا زواجاً مختلفاً تماماً عما توّقعه أهل الصحافة. جلست بيني روز إلى جانب الستير وراحت تجيب عن الأسئلة دون أي شعور بالخجل أو التردّد.

همست مراسلة لزميلتها قائلة: «إنه يحبها».

وقالت أخرى: «حصلنا على العناوين الرئيسية: قصة غرام رومنسية ملكية!».

قال أحد المراسلين لبيني روز: «مكتوب هنا أن اسمك بينيلوب، ولكنك قدّمت لنا باسم روز. هل ستصبحين الأميرة بينيلوب؟».

تدخل الستير قبل أن تتمكن بيني روز من التفوّه بكلمة: «لا. سوف تكون الأميرة روز».

نظرت إليه بيني روز. وعيناها قد اغرورقتا فجأة بالدموع. الأميرة روز! قد يكون اسماً أو لقباً في غاية الرسمية ولكن في تلك اللحظة التي نطق فيها الستير اسمها بشكل مكشوف وصريح بدا وكأنه يحبها!

* * *

ـ هل قرأت الصحف؟

أيقظ صوت بيل الستير من النوم. لقد امضى الليل بطوله في كتابة بعض الأوراق الخاصة بالعمل ومراجعتها بشكل مطوّل، ثم خلد إلى النوم قبل بزوغ الفجر بقليل.

وبعد ساعة من النوم المضطرب، رنّ جرس الهاتف. صاحت بيل بصوت عال لم يألفه من قبل: «إنّ هذا الزواج مبنيّ على المصلحة. ولكن هذا...».

ثم أخذت نفساً عميقاً وأضافت: «لكن هذا يثير الاشمئزاز!».

اجابها الستير وقد غار قلبه من الوجل: «ما هذا الذي يثير الاشمئزاز؟».

ـ جميع الصحف تحمل العناوين نفسها: «زفاف ملكي: الأمير يعثر على سندريلا».

جازف الستير بالقول وهو ما زال يجهل ما هي المشكلة: «كنت تعلمين أن هذا سيحصل. لقد اتخذنا القرار معاً».

ـ نعم. ولكن لم أكن اعلم أنك ستجلس على الرصيف في باريس وتعانقها. ثم هناك ألبسة داخلية في كل مكان وثوب نوم لا ترتديه سوى العاهرات...

ـ مهلاً...

ـ يبدو كأنك تحبها!

هذا هو صلب الموضوع. أغمض الستير عينيه وقد غمره إحساس شديد من التعب والارهاق. حاول أن يسيطر على صوته: «أنا لا أحبها. كادت أن تصدمها سيارة وهي تنقذ الكلب فحملتهما بعيداً عن الطريق و...».

ـ وكنت أحمق إلى حدّ التقاط صور لكما.

خيّم الصمت. وراح الستير يفكر في الأمر ولم يعجبه. وبعد دقيقة

www.elromancia.com

من الصمت، رأت بيل أنها ربما قد تخطّت حدودها فسألته: «هل ما زلت على الخط؟».

ـ نعم.

بدا الإرهاق واضحاً في صوته وقد لاحظت بيل ذلك أيضاً. علم من خلال صوتها أنها كانت تعيد النظر في الموضوع ومن الصائب والحكمة أن تتراجع. فقالت مستدركة: «إذاً هل يمكنني أن أقول لأصدقائي إنه كان حادثاً مفاجئاً عرضياً وأنك كنت تلعب دور البطل لفترة وجيزة، لا أكثر ولا أقل؟».

ردّ بسرعة: «آمل ألاّ تقولي شيئاً لأصدقائك. بيل، تعلمين أهمية الموضوع ودقّته. يجب أن يبدو هذا الزواج أبدياً».

جاء دور بيل لكي تصمت على الطرف الآخر؛ ثم قالت: «أكره ما يجري».

أومأ الستير رأسه موافقاً: وقال لها: «ولكن، بيل، إذا تراجعنا الآن..».

ـ سنخسر كلّ شيء.

أدرك أنها كانت تصبّ اهتمامها على الميراث وهذا ما جعلها تتردد. تابعت تقول: «لا أرغب في هذا».

ـ إذاً ماذا تريدينني أن أفعل؟

أصدرت الأمر قائلة: «عليك أن تتصرّف بشكل رسمي. هذه الصور تجعلك تبدو سخيفاً ومفتوناً».

ـ سأرى ما يمكنني القيام به.

حاول النوم مره أخرى. لكنه لم يفلح.

كيف له أن يتصرّف بشكل رسمي مع روز؟ هذا ليس معقولاً! أما مع بيل، فهذا معقول. لكنه لم يكن مقبلاً على الزواج بـ بيل بل بـ روز.

مرّت الأسابيع القليلة التالية دون حدث يذكر عدا أن مرغريت أصيبت بالانفلونزا ولازمت الفراش. وتوجّب على ألستير إعداد ترتيبات الزفاف.

كان هناك منظمون للأعراس ومتعهدون لتقديم الطعام، وكلّ منهم أراد أن يحشر أنفه في الأمر ويتدخل فيه. وكان لا بدّ من إرسال دعوات لكل من في الامارة تقريباً. وبذلك بدا أنّ حجم الانفاق على هذا الزواج سيفوق ميزانية أي فيلم سينمائي.

عندما رأت بيني روز اللوائح بأسماء المدعوين سألته: «ألا يمكننا الفرار سوية؟».

تنهّد الستير ومرّر يده على شعره وقال لها: «هذا عرس رسمي. في الواقع، لم أتوقع أن يفلت زمام الأمر من يدي. فكلّ رجل سياسة وكلّ صاحب سلطة ونفوذ وكل مواطن في الامارة سوف يشعر بالاستياء الشديد إذا لم أدعه إلى زفافي».

انتهى وقت تناول العشاء. قالت له برقة: «عمت مساء يا الستير».

لكنه لم يبعد نظره عن اللوائح. كان يبعدها عن تفكيره.

لم يقل لها: عمت مساء. كان مضجراً ومصدر ازعاج لها.

رآها ثانية وقت الفطور، تحادثا بشكل مقتضب ورسمي، كما أرادت بيل بالضبط.

ثم رآها من بعيد أثناء النهار.

غريب كيف كانت تتجه أنظاره غالباً إلى حيث يتم بناء الحائط الجديد في الناحية الغربية؛ لأن عروسه العتيده كانت هناك، ملطخة بالغبار وسعيدة، تقطّع الحجارة بينما ليو يلهو بالرمل إلى جانبها.

كان على الستير أن يقاوم رغبة شديدة للانضمام إليهما.

ازداد الالتزام بالمشكليات والرسميات مع اقتراب موعد الزفاف.

www.elromancia.com

ولكن، من دون أن يدري الستير، كانت بيني روز تتعلّم المزيد عن القصر والعاملين فيه.

فقبل أسبوع من موعد الزفاف، وبينما كانا يتناولان العشاء، أسرّت له بالقول: «هنري يعاني من ورم في المفصل الكبير من إصبع قدمه».

كانت مرغريت لا تزال تلازم الفراش بسبب الانفلونزا التي ألمّت بها مؤخراً، لذلك تناول الستير وبيني روز العشاء بمفردهما، بشكل رسمي.

لكن هذه المرة فقط قامت بيني روز بالخطوة الأولى واستهلت الحديث.

- يجب أن تفعل شيئاً حيال هذا الأمر.

فكّر الستير بما قالت بيني روز متعجباً وسألها: «هل قلت ورم في قدمه؟».

- بكل تأكيد.

التهمت قطعة السلمون الأخيرة، وعندما دخل كبير الخدم لينظف الطاولة، قالت له: «كان شهياً يا هنري. هلا قلت لكلود إنه اعجبنا كثيراً».

- بالطبع يا آنستي. سيكون الطاهي مسروراً بذلك.

أشرق وجه الكهل وابتسامته لم تترك لدى الستير أدنى شك بأن روز تجعل العاملين ينصاعون لمشيئتها. فهنري كان يلتمس رضاها إذ سمعه يقول لها: «حضر لك كلود حلوى لذيذة واشترى كتاباً عن المطبخ الأسترالي كي تشعري كأنك في وطنك».

ثم حمل الصحون وهو يبتسم. والتفتت بيني روز نحو الستير مجدداً، وقالت له: «أرأيت؟ إنه يعرج والأمر يزداد سوءاً».

أقرّ الستير بالقول: «لم أنتبه لهذا الأمر من قبل».

فإذا كان باستطاعته أن يتصرف كالملوك متمسكاً بآداب السلوك، فهي تستطيع أن تتصرّف بالمثل، فقالت موضحة الأمر: «لأنك كنت مشغولاً. ولكني لاحظت ذلك. فالخدم يتكلمون معي، ولذا اعرف ما خطبهم».

لقد لاحظ ذلك. فغالباً ما كان يسمع ضحكاتها مع مدبرة المنزل، أو الطاهية أو البستاني. وحين دخل هنري حاملاً الحلوى، قال له بحزن: «تقول روز إنك بحاجة إلى عطلة كي تعالج قدمك. لماذا لم تخبرني؟ أنا لست بتاجر عبيد».

أجابه هنري بكل وقار: «لم أعتقد قط أنك كذلك. ولكنك ترهق نفسك يا سيدي ولا أريد أن أزيد عليك همّاً».

توقّف هنري عن الكلام ثم أضاف بلهجة رقيقة: «يسعدني أن أعمل لديك. فقد نفحت روحاً جديدة ومنعشة في هذا القصر».

ابتسم لهما وأردف قائلاً: «أنت والآنسة روز».

وتابع قائلاً: هل آخذ عطلة قبل اسبوع من زفافكما؟ لا يا سيدي. فأنا وماريا قد عزمنا على تهيئة جناح العروسين غداً.

دمعت عيناه وهو يفكّر بهذا الأمر وأضاف: «لقد مرّ أربعون عاماً على إحضار عمك عروسه إلى القصر. ذلك الزواج لم يدم. ولكن... ذلك الزواج كان مدبراً. ليس مثل هذا الزواج أبداً».

وعاد إلى المطبخ وهو يعرج تاركاً إياهما ينظران إليه بذهول وهو يغادر الغرفة. فقال لها الستير: «يظن أن هذا الزواج حقيقي».

كانت بيني روز تركز على الحلوى، ثم قالت بعد جهد جهيد دون أن تنظر إليه: «إذاً أعتقد أننا نجحنا. تناول قطعة من الحلوى، إنها لذيذة».

www.elromancia.com

تناول قطعة مكسوة بالشوكولاتة وجوز الهند لكنه لم يكن يفكر بالقطعة التي يأكلها. وقال لها: «ماذا قلت لهم؟».

اتسعت عيناها لدى سماعها هذا السؤال وأجابته: «أنا؟ ماذا تقصد؟».

أجابها بجدية: «هذا زواج مبني على المصلحة. ظننت أنه واضح للعيان ولكن الموظفين لا يصدقون ذلك».

أجابته برقة: «ربما لا يريدون أن يصدقوا ذلك».

غيّر ألستير الموضوع وقال لها:

- الصحافيون يتوقعون أن نمضي شهر عسل.

- يمكنهم أن يتوقعوا ما يريدون، فلم أنتهِ بعد من بناء الحائط.

تحركت مشاعره المكبوتة وضرب الطاولة بيده وهو يقول: «روز هل ستأخذين الموضوع على محمل الجد؟».

- أنت لا تريدني أن آخذه بشكل جدي.

- أنا...

قالت: «هذا زواج شكليّ مزيف».

نهضت من مكانها وانحنت له بسخرية وهي تقول: «عذراً يا سموّ الأمير. ولكن ليس هناك أي شيء جدّي في ما يتعلق بزواجنا. لذلك لن أذهب إلى أي مكان لقضاء شهر العسل. آسفة الستير؛ سأذهب لأتمنى لوالدتك ليلة سعيدة».

لاحت ابتسامة على ثغرها وقالت: «لا تقلق. اذهب وصمّم لأحدهم قصراً أو منزلاً فخماً وكفّ عن التفكير بحفلات الزفاف. ستصاب بالجنون من كثرة التفكير».

وقبل أن يتمكّن من إيقافها، التفّت حول الطاولة وطبعت قبلة خفيفة على جبينه. كانت تهدف إلى الإغاظة لا غير، قبلة عادية وفاترة.

لم يكن هناك أي سبب يحمله على أن يضع يده على جبينه ويتركها مطوّلاً بعد خروجها من الغرفة.

* * *

www.elromancia.com

٨ ـ شهر عسل . . بلا عسل!

قالت لها مرغريت: «لدي مفاجأة لك».

كانتا تتحدثان قبل أربعة أيام من الموعد المحدّد للزفاف. وكان القصر كخلية نحل.

قالت لبيني روز: «لدي خطة رائعة لقضاء شهر العسل».

ـ لن يكون هناك شهر عسل.

ثم رفعت بيني روز رأسها نحو الستير الذي دخل الغرفة لتوّه.

فخاطبته بالقول: «قل لها يا ألستير إننا لا نريد شهر عسل وكلّ ما نرغب فيه هو حماة تنعم بصحة جيدة».

ـ هذا كلّ ما نريده.

وافقها الستير الرأي وهو يجتاز الغرفة قبل أن يقبّل والدته مضيفاً: «كان الطبيب برتارد هنا منذ قليل. ماذا قال؟».

ـ إنني بحاجة إلى مزيد من الراحة.

سألها الستير وهو يجلس على سريرها: «هل اشتقت إلى باريس؟».

كانت أمه تملك شقة جميلة قرب نهر السين، وقد تركت كلّ شيء لكي تأتي إلى هذا المكان عندما توفي لويس. ومنذ ذلك الوقت لم تعد إلى شقتها تلك. أضاف الستير: «لقد أرهقت نفسك وقمت بأعمال كثيرة. . .».

ـ سأعود إلى باريس بعد أن أطمئن على زواجك.

رمقتها بيني روز بنظرة غريبة وكأنها لم تفهم مرادها، فاستفهمتها قائلة: «ألا تودين العودة إلى باريس؟ وهل هذه هي المشكلة؟».

قطّب الستير جبينه وهو يتساءل في سرّه ما دخل روز بهذا الموضوع؟

غير أنّ مرغريت كانت تتنهّد، وهي على أتمّ الاستعداد لأن تفصح عن مكنونات قلبها لبيني روز بينما لم تتحدّث إليه بمثل هذه الطريقة إطلاقاً.

أجابتها مرغريت: «لم أنتقل إلى باريس إلاّ بعد وفاة زوجي. ولكن لدي. . . لديّ شقة جميلة، وقد تولّت بيل أمر تزيينها وزخرفتها».

تراءى لبيني روز أنّها شقة كبيرة وأنيقة وحديثة الطراز وراقية وخالية تماماً من أي أثر للإبداع والخيال والحياة. فسألتها: «ولكن، أليس لديك أصحاب؟».

ـ لم أتعرّف على أناس كثيرين بعد.

فعقبت بيني روز قائلة ببشاشة ومرح: «إذاً عودي وابقي هنا دائماً».

ألقت بنظرها سريعاً إلى الستير ورأته يستحسن قولها، فتابعت تقول: «ليو وأنا بحاجة إلى رفيق. سيكون الأمر رائعاً».

ـ سيكون أمراً رائعاً يا عزيزتي ولكن. . .

نظرت مرغريت إلى ابنها ثم اشاحت بنظرها بعيداً عنه وقالت برقة: «سيكون الوضع أسوأ. سأبقى هنا لمدة اثني عشر شهراً وأنت سترحلين، وستأتي بيل. وبيل وأنا لا. . . لا ننسجم مع بعضنا البعض».

علّق الستير على كلامها معترضاً: «لكن بيل تحبك».

www.elromancia.com

إلاّ أنها هزت رأسها قائلة: «بيل امرأة لا تقوى على مشاركة الآخرين بينما بيني روز...».

وهنا تطلعت بودّ وبمحبة باسمة إلى كنتها العتيدة وأضافت: «بيني روز تشاطر الآخرين عواطفها وحتى كلبها».

ابتسمت بيني روز: «أنا على استعداد لأن أكون أكثر سخاء. ابقي معنا».

أجابتها مرغريت وهي تهز رأسها: «لا، ما إن ينتهي حفل الزفاف سأعود إلى باريس».

أردفت تقول: «على ذكر الأعراس، كنت أقول لبيني روز عندما دخلت الغرفة إنه لدي مفاجأة لها».

أجابها الستير بحذر: «لا أثق بمفاجآتك».

نظرت إليه ببراءة متناهية وهي تقول: «قولك هذا فظيع؛ معاذ الله أن أقوم بأي شيء لا يرضيك».

أمعن في النظر إليها بترقب وسألها: «ماذا فعلتِ؟».

- إنها هدية العرس. لقد حجزت لكما تذكرتي سفر لقضاء شهر العسل.

ردّد الستير: «شهر عسل...».

أخذ نفساً عميقاً ونظر إلى روز بطرف عينه قائلاً: «لن نذهب في شهر العسل».

قالت أمّه بجدّية: «بالطبع ستذهبان. كلاكما بحاجة إلى شهر عسل. كما تبدو شاحباً من كثرة التعب والارهاق، أليس كذلك يا بيني روز؟».

لم يسع بيني روز سوى الموافقة والقول: «نعم، لكن...».

أشرق وجه مرغريت وقالت: «ها هي موافقة. أراهن أن بيني روز

لم تقضِ في حياتها عطلة لائقة، أليس كذلك يا عزيزتي؟».

أزاحت ليو قليلاً لكي تتناول بعض الأوراق من على غطاء السرير.

نظرت بيني روز إلى ما كانت مرغريت تمسك بيدها، فافتتنت بما رأت وقرأت اسم المكان عالياً: «كونيتا لاو».

قالت لها مرغريت: «إنه أجمل منتجع في العالم. يقع في جزر الفيجي. احجزا مكان إقامتكما في الجزيرة التي تفضّلان».

همست بيني روز التي لم تتمكن من أن تسيطر على نفسها: «لم أذهب إلى الشاطىء في حياتي».

لكنها أخذت نفساً عميقاً وأزالت الفكرة من رأسها وهي تقول: «لا يا مرغريت. يبدو عرضاً رائعاً ولكن شهور العسل لا تلائم زيجات مصدّعة كزواجنا».

ثم ألقت نظرة خاطفة متسائلة إلى الستير. رأت أنّ شهر العسل يمثّل قوة ضاغطة عليه. كانت عازمة بالفعل على إنجاح هذا الزواج لكنّ هذه الفكرة فاقت تصوّرها. فأضافت: «علاوة على ذلك، هناك ليو».

لكن جواب مرغريت كان حاضراً فقالت: «هنري وأنا سنهتم به، فسيكون ليو بمثابة كلبنا».

- أشقائي الثلاثة سيحضرون غداً. ويصعب عليّ أن أتزوج وأتركهم يتدبرون أمورهم بأنفوسهم. لن يكون ذلك عدلاً.

أجابتها مرغريت مذعورة: «أتنوين أن تسلّي إخوتك وتمضي الوقت برفقتهم أثناء شهر العسل؟».

- هذه عطلتهم.

- لا يمكنك أن ترافقي عائلتك لمشاهدة المناظر الجميلة وأنتِ متزوجة حديثاً!

www.elromancia.com

قالت مرغريت هذا وهي تهزّ برأسها. وإلى جانبها جلس ألستير الذي لم يعكس وجهه الأفكار التي تجول في خاطره، ما جعل بيني روز تشعر بالانزعاج. رفعت رأسها بعناد وقالت: «هناك أعمال يتوجب على الستير القيام بها وليس في نيتنا أن نمضي كلّ الوقت معاً. شكراً جزيلاً لكِ ولكن لا».

ثم وقفت وتمكنت من أن تبتسم لهما وإن كانت ابتسامتها مرتعشة وواهنة وهي تقول: «سأترككما مع بعضكما. أنا... عليّ القيام ببعض الأعمال».

إلا أنه بالطبع لم يكن هناك ما يتوجب عليها القيام به. كلّ ما في الأمر أنها كانت بحاجة إلى أن تهرب من التعبير الغريب المرتسم على وجه الستير.

بعد انقضاء ساعة من الوقت وجدها الستير. وكان شعور لم تعهده من قبل قد هيمن عليها، فتوجّهت نحو الشرفة وجلست على الحافة تحدّق إلى المنطقة الريفية. كانت تفكر بالشواطىء وبالزيجات الميؤوس منها وبألستير.

لم تسمعه يصعد الدرج. وقف للحظة تحت أشعة الشمس يتأمل وجهها وهي تنظر محدّقة في الناحية الأخرى. فكر في نفسه قائلاً: تبدو كئيبة، فقد أمضت حياتها وهي تنكر ذاتها وها هي تنكر ذاتها مرة أخرى.

وكان يعرف أنها ما كانت لتقبل بفكرة الزواج لولا عائلتها وسكان القرية. سألته أمه بحزن بعد أن تركتهما بيني روز: «ألا توجد طريقة ما تمكنك من تدبير أمورك والذهاب؟».

نظر إليها بارتياب، إذ سمع لهجتها المتملقة من جديد. أجابها: «فقط لأنكِ مازلتِ مريضة».

ـ لا يا عزيزي. فقط لأن بيني روز محتاجة إليك.

تردّدت قبل أن تتابع وتقول: «أنت تعلم أنّ كل شيء في الامارة سيسير على ما يرام. وحالما تتزوج ستتوافر الاموال لتسيير كلّ الأعمال. سكرتيرك الجديد يعرف كيف يدير شؤونها، وعندما تتم مراسم الزواج يستطيع القيام بالاعمال وحده ولا حاجة لأن تقلق».

ـ وماذا عن عملي ووظيفتي في هندسة البناء؟

أجابته بصبر: «ما من عمل لا يُمكن الاستغناء عنه. لن تتزوج سوى مرة واحدة».

ـ أمي.

ـ عذراً.

ابتسمت بمكر وتابعت تقول: «ولكن على الأقل هذا ما يجب أن يعتقده الناس. سيكون غريباً للغاية إذا لم تذهبا لقضاء شهر العسل. كما أن هذا الأمر سيشعر بيني روز بالسعادة وقد سبق وحجزت تذكرتيكما».

فأخذ كتيّب الرحلات وراح يبحث عن بيني روز.

كان ليو إلى جانبها والحزن بادٍ على وجهه.

تطلّعت إليه بسرعة وما لبثت أن نظرت ثانية إلى النهر. قالت دون أن تنظر إليه مجدّداً: «أنا آسفة. لم أعلم أن والدتك كانت تخطط لأمر رهيب كهذا».

ـ رهيب مثل شهر العسل؟

جلس إلى جانبها. وقال لها: «أجريت للتّو اتصالاً بكونيتا لاو».

ـ لإلغاء الحجز؟

ـ لا، بل لتأكيده.

التفتت بسرعة لتقف قبالته، ومشاعر متناقضة من الأمل وعدم

www.elromancia.com

التصديق تتجاذبها. قالت: «لا نستطيع».

- إذاً كنتُ أنا استطيع، فلمَ لا تستطيعين أنت كذلك؟

داعب أذني ليو المتهدلتين وأضاف والابتسامة تعلو وجهه: «المشكلة الوحيدة التي أراها هي ليو وقد وجدت لها حلاً.

تنازعتها مشاعر مختلطة من الضحك والغضب قبل أن تكمل وتقول: «تعلم أنني لا أستطيع. إنه عرض رائع ولكن..».

- لكن ماذا؟

- أشقائي الثلاثة.

- هذا ما أودّ أن أحدثك عنه.

أمسك الستير بيديها وانهضها من مكانها. لعلّه أخطأ هنا إذ ضغط جسمها على جسمه بقوة فيما أحكم قبضته على يديها. انتابه شعور غريب لكنه لم يعلم ماهيته.

قال مخاطباً نفسه: قل لها ما عليك قوله ثم اخرج من هنا. الآن.

وبطريقة ما استطاع أن يتحكّم بصوته فقال: «ما تقدمين عليه هو من أجل عائلتك، أي زواجك بي. لكن عندما قلت إنك لم تذهبي إلى الشاطىء في حياتك، خطر ببالي أنهم أيضاً لم يقصدوا الشاطىء أيضاً. ربما يستحقون الذهاب إليه مثلك.

- لكن...

قاطعها بلطف: «اصمتي واصغي لما أقوله يا روز. ما سنقوم به هو التالي: أشقاؤك يصلون غداً. يمكنهم أن يلقوا نظرة على أرجاء القصر لمدة يومين. سنتزوج يوم الخميس ويوم الجمعة نستقل نحن الطائرة جميعاً ونتجه إلى جزر الفيجي. وبإمكاننا نحن الخمسة قضاء أوقات ممتعة للغاية».

- نحن الخمسة...

قال وهو يبتسم: «ما رأيك؟».

لقد خطف أنفاسها. طيلة حياتها كانت ترغب في تأمين عطلة لإخوتها، لكن الأمور لم تكن سهلة لعائلة غارقة في الديون مثل عائلتها.

لم تستطع بيني روز الرفض والمقاومة. همست وقد ذهب بها الحلم كلّ مذهب: «أمّك، تستطيع أن تذهب معنا أيضاً يا الستير».

قال: «في الحقيقة طلبت من أمي أن ترافقنا لكنها رفضت. ربما هي على حق عندما تقول إن رحلة طويلة بالطائرة مضنية لها».

- ليتها كانت بصحة جيدة!.

- سنعمل على تحسين صحتها. بعد عودتنا من شهر العسل، سنلحّ عليها أن تبقى هنا لكن في هذه الأثناء فإنّ الشيء الذي يسعدها حقيقة هو موافقتنا على خطتها. ما رأيك يا روز؟ هل أستطيع أن أصطحبك أنت وإخوتك في شهر عسل ممتع ورائع يحلم أي أمرىء به؟

وجدت الأمر شديد الوقع عليها. رفعت نظرها إليه وعيناها تلمعان. وقبل أن يعرف ما هي مقبلة عليه، وقفت على رؤوس اصابعها لكي تعانقه.

كان المراد عناقاً يعبّر عن عرفاتها بالجميل لا أكثر. لكنه سرعان ما استحال عناقاً حاراً. وها هي الصداقة تتحول الآن إلى شيء أعمق.

لقد حصل هذا التحوّل بالنسبة إلى بيني روز. كانت تعرف ماهيّة إحساسها. لكن الستير لم يكن لديه أدنى فكرة، غير أنّ ما تلقّاه كان شحنة كهربائية كادت تطيح به.

راح يفكّر بأنه لم يسبق أن انتابه مثل هذا الشعور من قبل، كأنما جسدها يذوب في جسده وكانت عذوبتها تفوق الوصف والتصور. كانت بريئة وجميلة للغاية و... وستصبح زوجته قريباً.

www.elromancia.com

استسلم للحظة لذلك الاحساس الرائع وخُيّل إليه بأن ذلك كلّه سيفضي إلى شيء ممتع وغريب، ألا وهو أن يدع نفسه يحبّ وبأنه بعد أربعة أيام سيتزوج هذه الفتاة وسيفوز بها إلى الأبد وبأنه سيترك إحساسه هذا يسير في مساره الطبيعي أياً تكن العواقب.

انجرفا بشكل أعمق في عناقهما. كانت لحظة أثيرة وثمينة إلى أبعد الحدود، لحظة رائعة وخلاّبة لم تكن في الحسبان.

ـ سيدي...

تناهى إلى سمعهما صوت يتعالى من الأسفل. لا شك أنّ هنري رأى الستير وهو يصعد الدّرج وكان يناديه قائلاً: «سيدي، هل أنت هناك؟».

ابتعدت بيني روز، وللحظة طويلة بقي الستير ممسكاً بها، يداه على ذراعيها وعيناه مسمرّتان على عينيها. كانت عيونهما تعكس اضطرابهما المتبادل وحاجة كل منهما للآخر.

سأل ألستير: «ما الأمر؟».

أجابه هنري: «صديقتك على الهاتف».

لا شك أنها بيل.

كلاهما عرف من كان على الخط. وفي اللحظة التي تكلّم بها هنري بدا وكأن بيل وقفت حاجزاً بينهما. بسط الستير يديه وقال: «أنا... أنا آسف».

ـ لا تعتذر. لم يكن من حقي أن أعانقك.

ـ لم أقصد مطلقاً...

ـ بالطبع لم تقصد.

نظر إليها متردّداً متلعثماً وقال: «كان الأمر مجرّد... كنت قلقاً على والدتي و...».

قاطعته برقة: «لا تشرح لي الأمر يا ألستير».

خلال الساعات الأربع والعشرين التالية، تجنّبا بعضهما البعض كثيراً.

لم يتعمّدا ذلك إطلاقاً، ولكن إذا صدف أن دخلت غرفة مرغريت لزيارتها وقرّر الستير الشيء نفسه، وسمع صوتها من الناحية الأخرى للباب، تذكر عندئذٍ فجأة عملاً ملحاً عليه إنجازه في مكتبه.

سيكون زواجاً رائعاً إذا لم يستطع مواجهة هذه الفتاة!

سبق لبيل أن قالت له: «تصرف بشكل رسمي».

كان يعلم أن عليه التصرّف على هذا النحو، فأي تصرّف آخر سيقوده إلى الجنون. لن يفقد صوابه مثل تلميذ مدرسة أخرق ولن يعرّض نفسه للمعاناة التي خبرها يوم توفيت ليزا. وما شعر به تجاه ليزا بدا عادياً جداً نسبة لما قد يشعر به إذا وقع في الحب.

أنّب نفسه قائلاً: لا. إنها فكرة حمقاء. تصرّف بشكل رسمي أو ابتعد كلياً.

لمدة اثني عشر شهراً؟ لم يكن بإمكانه سوى المحاولة. كان ضرباً من الجنون. هذا ما فكّرت به بيني روز بحزن عندما حاولت أن تنام تلك الليلة: أن تحب وتتزوج شخصاً لا يبادلها الشعور نفسه.

راحت تفكر بما سيحصل إذا فشلت في حبّها. ماذا لو لم ينتج عنه سوى رسميات باردة وطلاق بعد اثني عشر شهراً؟

لكنها لن تتراجع. مستحيل.

بعد انقضاء أربع وعشرين ساعة على وصولهم، أجمع أشقاء بيني روز الثلاثة على أن يعلنوا بصراحة عن رأيهم بالستير. قالت هيثر: «إنه جذاب لكنه جدّي ورسمي للغاية. لِمَ لا يبتهج قليلاً؟».

أجابتها بيني روز وهي تخفي ما تعانيه من ألم: «إنّه أمير ومن

www.elromancia.com

المفترض أن يتصرّف بشكل رسمي ورصين».

لكن هيثر التي تميّزت عن إخوتها بوقاحتها تابعت تقول: «أظن أنه يضع تاجاً على رأسه وهو نائم».

وضحكت بخفوت وهي تقفز على سرير أختها الرائع والفخم حيث اختلوا لتبادل أطراف الحديث. تابعت هيثر قائلة: «ماذا يلبس أثناء النوم؟ بيجاما مذهّبة؟».

وحين رأت وجه بيني روز يحمّر ازداد تركيزها على الموضوع، فسألتها: «تعنين أنك لا تعلمين؟ أنت مخطوبة وعلى وشك الزواج ولا تعرفين ماذا يرتدي خطيبك أثناء النوم؟».

تدخلت أليزابث قائلة: «ربما لا يرتدي شيئاً».

كان الستير قد قابلهم برفقة بيني روز بعد أن حطّت الطائرة على ارض المطار. وقد رحّب بهم جيداً وكان لطيفاً لكنه كان فاتراً، وما إن وصلوا إلى القصر حتى اعتذر قائلاً إن روز بحاجة لقضاء بعض الوقت مع عائلتها. وبالكاد التقوا به بعد ذلك.

وأخيراً تجرأت هيتر على التفوه بما أرادت قوله، فسألتها: «حبيبتي، أنت لا تقومين بهذا العمل من أجل المال، أليس كذلك؟ أو من أجلنا؟».

لو كان هناك وقت مناسب للاعتراف بأن هذا الزواج هو زواج مصلحة لما كانت ستجد وقتاً أنسب من تلك اللحظة، لكن بيني روز حدّقت في وجوه إخوتها القلقة ورأت أنها لا تستطيع قول الحقيقة، فهم مدينون لها بما فيه الكفاية وليس عدلاً أن تجعلهم يدينون لها بالمزيد.

فأجابت: «غبية. لن أقوم...».

ـ بل تقومين بأي شيء.

أجابتها هيثر، وبدا من خلال صوتها أنها قلقة بالفعل: «أعلم أنك

قد تقومين بهذا. وبات من الصعب أن نتابع جميعنا الدراسة في الجامعة وقد ثقل الحمل عليك كثيراً. ولكن استطيع أن أترك الجامعة وأؤجّل دراستي لبضع سنوات».

بسطت بيني روز يديها وقالت: «هذا احتمال غير وارد. أنا أحب بناء الجدران وهذا ما أقوم به. أنت ستصبحين طبيبة وليز ستغدو مهندسة معمارية ومايك سيصبح أعظم مهندس في العالم».

ـ لكن...

اعترضت هيثر التي كانت لا تزال تحرّك أصابعها بعصبية، وأضافت: «لن يحصل هذا إن كنتِ تقدمين على زواج غير سعيد».

رفعت رأسها ونظرت مباشرة في عيني أختها وسألتها دون مواربة: «هل تحبينه؟».

ـ نعم، أحبه.

اجابتها بيني روز بلهجة لم تترك مجالاً للشك. وكيف يمكنها أن تشك في زواجها من الستير؟ كان هذا مرادها حتى أكثر من بناء الجدران.

ولكن، ما الذي عُرض عليها؟ ليس زواجاً حقيقياً بل زواج مصلحة. وبلهجة أقوى قالت: «بالطبع أنا أحبه، ما عساني أريد أكثر من هذا؟».

* * *

www.elromancia.com

٩ ـ هدية العروس

تمت مراسم الزفاف على ما يرام ويبدو أن العصا السحرية كانت تقوم بعملها على خير وجه ذلك اليوم.

كان هناك أعلام ملكية ترفرف على الأعمدة والأزهار تزيّن القصر، ما جعلها تحبس أنفاسها. حتى تلك اللحظة، كان هذا العرس مجرّد كلام. وذلك اليوم أضحى حقيقة ماثلة أمامها. وتساءلت: ما الذي أنا مقدمة عليه بحق الله؟ وبدأت الشكوك تساورها من كل نحو وصوب بعد أن استحمّت وخرجت من غرفة النوم.

صباح ذلك اليوم نزلت لتناول الفطور وهي مرتبكة ومشوشة الأفكار، وإذا بها وسط أناس يقدّمون الطعام وضيوف لا تعرفهم، ثم توجهت إلى الخارج حيث رأت عربات متوقفة قرب البوابات الامامية وجياداً تروح ذهاباً وإياباً استعدادا للمناسبة، وقد لبس الخدم أبهى حللهم، فيما شعرت بيني روز وكأنها دخلت إلى مكان لا تنتمي إليه وتساءلت: أين ليو؟ وأين الستير؟ لا بدّ أنه كان مرتبكاً مثلها لكنه غيّب نفسه؛ عمداً؟ ربما. وربما كان يجدر به ذلك، فمن المفترض ألاّ يرى العريس عروسه يوم زفافهما، فذلك يُعتبر نذير شؤم.

ركلت صخرة أمامها بأصابع قدميها، وهنا طرأت فكرة في ذهنها الا وهي أن قاعدة الصخرة مسطّحة جداً وتصلح كأساس جيد للحائط

الذي كانت تقوم ببنائه. وهذا ما شعرت أنها تحب القيام به: ودّت لو ترتدي ثياب العمل وتستأنف عملها في بناء الجدران.

الا أنها قالت في سرّها: عودي إلى مقصورتك يا امرأة. حوّلي نفسك إلى أميرة. هناك أمير عليك أن تتزوجيه.

بعد مرور ساعة من الوقت، دخلت هيثر إلى الغرفة. بدت في غاية الجمال وهي ترتدي بذلة جلدية حمراء مؤلفة من تنورة قصيرة وسترة مناسبة.

راحت تتلمّس ثيابها الجلدية بفرح: «لقد صرفت كل اموالي على هذه البذلة. أصدقائي في أستراليا سيموتون حسداً».

تمكنت بيني روز من انتزاع ابتسامة على شفتيها وقالت: «ثيابك جميلة للغاية. أين... أين الآخرون؟».

كانت تريد أن تسأل: «أين الستير؟» لكنها لم تستطع.

ـ اليزابيت تتحادث مع أحد أنسباء ألستير، يقول إنه كونت يا إلهي! سينتهي بي الأمر مع سلالة من الاقارب الملكيّين. أما الستير ومايك فأخذا ليو في نزهة إلى النهر.

أخذت بيني روز نفساً عميقاً. كانت مبادرة طيبة ولطيفة من الستير أن يصطحبه في نزهة.

حاولت جاهدة أن تبقي صوتها عادياً ولكنه كاد يخونها من شدة الانفعال والتأثر، فقالت: «سيعودان... سيعودان في الوقت المناسب ولن يتأخرا، أليس كذلك؟».

ـ بالطبع. ما زال أمامنا متسع من الوقت.

قالت هيثر ذلك وهي تقفز على السرير: «هذا أجمل سرير رأيته في حياتي».

وقفزت ثانية ثم تفرّست في وجه أختها وقالت: «آه، توقفي عن

القلق. فلا يتوجب على الستير أن يسرّح شعره مثلك».

ثم ابتسمت وأردفت تقول: «لهذا أنا هنا. الفريق جاهز. هل أطلب من أعضائه الدخول؟».

ـ الفريق؟

ـ انتظري لتري ما حضرته لك مرغريت.

قهقهت هيثر وأضافت: «ستموتين من الصدمة».

لم تمت بيني روز من الصدمة تماماً بل أوشكت على ذلك، عندما دخل الغرفة مصفف الشعر ومقلّم الأظافر وأخصائي التجميل ومنّسقة الزهور..

بعد ذلك بساعة، دخلت مرغريت إلى الغرفة وبدت مذهلة بدورها ببذلة زرقاء حريرية لا بد من أنها كلّفت ثروة. دخلت وهي تحمل ثوب الزفاف.

تراجع الجميع باحترام وعندما ارتدت بني روز الثوب، تعالت شهقة واحدة من جميع الحاضرين. كان ثوباً مصنوعاً من الحرير الناعم، مقصوصاً عند الرقبة وكمّاه صغيران مذهّبان، كان من الواضح أن جدّة الستير لم تبخل في الانفاق على هذا الثوب مطلقاً عندما أمرت بتجهيزه. ثم دنت مرغريت من بيني روز ووضعت بكلّ تأنّ وحذر تاجاً رقيقاً وناعماً من الماس على رأسها. ثم ثبّت المزيّن براعم الزنبق في خصلات شعرها المتماوجة. والنتيجة كانت تفوق الخيال!

أخيراً نطقت هيثر خرقت الصمت السائد قائلة: «خيّل لي أن ثيابي الجلدية رائعة».

فضحك الجميع وتقدّم خبير التجميل وأضفى اللمسات الأخيرة على وجه بيني روز. خطت مرغريت خطوة إلى الأمام وأمسكت يدها قائلة: «هل أنت مستعدّة لملاقاة زوجك يا عزيزتي؟».

التقت عينا بيني روز بعيني مرغريت اللتين كانتا هادئتين وثابتتين.

فقالت: «أنا...».

قاطعتها مرغريت وخاطبتها بلطف ورقة قائلة: «أعتقد أنك على أتم الجهوزية والاستعداد. آه يا عزيزتي، هذا ما حلمت به دائماً».

قالت هيثر بكلّ ثقة: «لن يصدّق زوجك ما يرى، فستذهلينه وتثيرين إعجابه».

فترت الابتسامة على ثغر بيني روز. التفتت وألقت نظرة أخيرة إلى المرآة فرأت أميرة فائقة الرقة والجمال.

حامت شقيقتاها حولها لدى وصولها ثم اتجهتا إلى الصف الأمامي واحتلّتا مقاعدهما لتشاهدا شقيقتهما وهي تشقّ طريقها نحو عريسها بروعتها واشراقتها. لكن تلك الروعة كانت مصحوبة بشعور قوي بالوحدة.

كان ألستير يرتدي بذلة رمادية فاتحة اللون وبالطبع بدا رائعاً. اللمسة الوحيدة التي أضفت رونقاً على بذلته كانت وردة جوريّة حمراء في جيب سترته. كانت وردة الحب هذه من اختيار مرغريت، وكذلك تلك التي حملتها بيني روز في باقتها. إنه لأمر يبعث على السخرية والتهكّم! لكن الستير كان يراقبها وعيناه هادئتان تطمئنانها، وبانت على ثغره ابتسامة صغيرة.

وكانت تحبه كثيراً إلى حدّ أنها شعرت بنفسها على وشك الانهيار.

تساءلت في قرارة نفسها: كيف يمكن أن أقدم على شيء كهذا؟

كانت تقترن برجل تحت ستار الاضاليل والكذب، فألستير لم يكن يريد امرأة تحبه بشغف. في الواقع لم يكن يريد زوجة حتى. وفجأة كاد الذعر يتملّكها. ثم، رأت مايكل، شقيقها الأصغر، يحمل الخاتمين في يده وبدا على وجهه وكأنه ملك العالم بين يديه.

القلق. فلا يتوجب على الستير أن يسرّح شعره مثلك».

ثم ابتسمت وأردفت تقول: «لهذا أنا هنا. الفريق جاهز. هل أطلب من أعضائه الدخول؟».

ـ الفريق؟

ـ انتظري لتري ما حضرته لك مرغريت.

قهقهت هيثر وأضافت: «ستموتين من الصدمة».

لم تمت بيني روز من الصدمة تماماً بل أوشكت على ذلك، عندما دخل الغرفة مصفف الشعر ومقلّم الأظافر وأخصائي التجميل ومنّسقة الزهور..

بعد ذلك بساعة، دخلت مرغريت إلى الغرفة وبدت مذهلة بدورها ببذلة زرقاء حريرية لا بد من أنها كلّفت ثروة. دخلت وهي تحمل ثوب الزفاف.

تراجع الجميع باحترام وعندما ارتدت بني روز الثوب، تعالت شهقة واحدة من جميع الحاضرين. كان ثوباً مصنوعاً من الحرير الناعم، مقصوصاً عند الرقبة وكمّاه صغيران مذهّبان، كان من الواضح أن جدّة الستير لم تبخل في الانفاق على هذا الثوب مطلقاً عندما أمرت بتجهيزه. ثم دنت مرغريت من بيني روز ووضعت بكلّ تأنّ وحذر تاجاً رقيقاً وناعماً من الماس على رأسها. ثم ثبّت المزيّن براعم الزنبق في خصلات شعرها المتماوجة. والنتيجة كانت تفوق الخيال!

أخيراً نطقت هيثر خرقت الصمت السائد قائلة: «خيّل لي أن ثيابي الجلدية رائعة».

فضحك الجميع وتقدّم خبير التجميل وأضفى اللمسات الأخيرة على وجه بيني روز. خطت مرغريت خطوة إلى الأمام وأمسكت يدها قائلة: «هل أنت مستعدّة لملاقاة زوجك يا عزيزتي؟».

التقت عينا بيني روز بعيني مرغريت اللتين كانتا هادئتين وثابتتين. فقالت: «أنا...».

قاطعتها مرغريت وخاطبتها بلطف ورقة قائلة: «أعتقد أنك على أتم الجهوزية والاستعداد. آه يا عزيزتي، هذا ما حلمت به دائماً».

قالت هيثر بكلّ ثقة: «لن يصدّق زوجك ما يرى، فستذهلينه وتثيرين إعجابه».

فترت الابتسامة على ثغر بيني روز. التفتت وألقت نظرة أخيرة إلى المرآة فرأت أميرة فائقة الرقة والجمال.

حامت شقيقتاها حولها لدى وصولها ثم اتجهتا إلى الصف الأمامي واحتلّتا مقاعدهما لتشاهدا شقيقتهما وهي تشقّ طريقها نحو عريسها بروعتها واشراقتها. لكن تلك الروعة كانت مصحوبة بشعور قوي بالوحدة.

كان ألستير يرتدي بذلة رمادية فاتحة اللون وبالطبع بدا رائعاً. اللمسة الوحيدة التي أضفت رونقاً على بذلته كانت وردة جوريّة حمراء في جيب سترته. كانت وردة الحب هذه من اختيار مرغريت، وكذلك تلك التي حملتها بيني روز في باقتها. إنه لأمر يبعث على السخرية والتهكّم! لكن الستير كان يراقبها وعيناه هادئتان تطمئنانها، وبانت على ثغره ابتسامة صغيرة.

وكانت تحبه كثيراً إلى حدّ أنها شعرت بنفسها على وشك الانهيار.

تساءلت في قرارة نفسها: كيف يمكن أن أقدم على شيء كهذا؟

كانت تقترن برجل تحت ستار الاضاليل والكذب، فألستير لم يكن يريد امرأة تحبه بشغف. في الواقع لم يكن يريد زوجة حتى. وفجأة كاد الذعر يتملّكها. ثم، رأت مايكل، شقيقها الأصغر، يحمل الخاتمين في يده وبدا على وجهه وكأنه ملك العالم بين يديه.

وفي اليد الأخرى كان مايك يمسك رسناً . . . كان يمسك بليو .

كان الكلب الصغير نظيفاً، ولم يبدُ بهذا الجمال من قبل . الندبات في جنبه التأمت تقريباً، لكنها كانت مغطاة بسترة رائعة قرمزية اللون مخصّصة للكلاب . . . أشرق وجهه عندما رأى العروس التي كانت تقترب منه وهزّ ذيله وكأنّ الاحتفال كان يقام من أجله .

لقد قام الستير بذلك . . من أجلها . لم تستطع تمالك نفسها . فالذعر قد خبا، ورغم هالة الوقار التي تحيط بالمكان، ورغم وجود كبار المسؤولين ومئات الشخصيات ورغم العظمة وأهمية المناسبة، أطلقت ضحكة خافتة وقالت في سرّها إن الامور ستسير على ما يرام، فهي تحب هذا الرجل للغاية . لقد عرف أن هذا الاحتفال سيجعلها تشعر بوحدة مريرة، ولذلك فقد قام بالأمرين اللذين من شأنهما أن يخففا من مخاوفها .

راقب الستير عروسه وهي تتقدّم نحوه، يراوده شعور يقارب الذعر الذي كان يعتريها .

سأل نفسه قائلاً: ماذا تراني أفعل؟ أتزوج؟ أمر لا يصدّق! إنه لعب وادعاء لا أكثر . إنّه عرس زائف لتحقيق اسمى الغايات، أي حماية المستأجرين والسكان في الامارة وتأمين مستقبلهم .

بعد اثنى عشر شهراً، سوف يطلق سبيل هذه المرأة ويتزوج امرأة تتماشى مع طريقته في العيش . لكن بيل كانت بعيدة جداً عن ذهنه وتفكيره، فيما بيني روز حقيقة ماثلة أمامه .

كانت جميلة للغاية إلى حدّ أنها خطفت أنفاسه .

في الواقع، بدت كأميرة .

أميرته . . . ولكن لمدة سنة فقط .

تنظر إلى مايك وليو .

ضحكت عيناها الجميلتان وانفرجت شفتاها بفرح، وحين وصلت إليه سمع ضحكة خافتة وهي تقول: «آه، الستير!» .

ارتفع وجهها الضاحك نحوه فحدّق فيها للحظة طويلة طويلة . ثم أمسك يدها بهدوء وابتسم لها .

وعلى مرأى أنظار العالم التفتا معاً لكي يصبحا شخصاً واحداً .

استمّرت الاحتفالات بالعرس طوال النهار وامتدّت حتى ساعة متأخرة من تلك الليلة . كان الطقس رائعاً والقمر ساطعاً والليلة مضيئة . ولم يرغب أحد في العودة إلى منزله .

تمنّى الجميع أن يراقص العروس، ولم يتسنَّ لها أن تطأ الأرض بقدميها . كانت ترقص مع أحد شركاء ألستير في العمل وهو يلفّ يده حول خصرها مما جعل الستير يرغب في . . .

ـ الستير؟

توقف لمّا عرف من يناديه : «بيل!» .

كان وجود بيل ضرورياً هناك ولو كان لتجنب الأقاويل . الغريب في الأمر أنه شعر أنّ في الأمر خيانة ما، لكن بيل لم تلاحظ . بدت راضية كثيراً عن نفسها، فقالت له : «كنت أتحدث إلى مرغريت وأخبرتني أنك ستصطحب عائلة روز إلى شهر العسل . إنها فكرة رائعة» .

أجابها موافقاً : «هذا من شأنه أن يخفف الضغط» .

وبقي يراقب زوجته التي كانت تدور وترقص .

ولِمَ يجب أن يكون هناك أي نوع من الضغط؟

رفعت بيل أحد حاجبيها الرائعين وقالت له : «ضغط؟ هل أنت خائف أن تسلب قلبك؟» .

لم تكن بيل قلقة على الاطلاق . فبالنسبة إليها، روز شخص تافه وحقير .

www.elromancia.com

وتكلّف الستير الابتسام وهو يقول: «بالطبع لا. أقصد أن وجود أشخاص آخرين يشاركون في الحديث يسهّل الأمر».

منحته بيل ابتسامة متعاطفة تدلّ على جهلها بالحقيقة وقالت: «ستضجرك خلال يوم واحد. يا حبيبي المسكين».

قال وكأنه يطمئن نفسه: «سأتكيف مع الوضع. فهذا الزواج سيدوم لمدة اثني عشر شهراً فقط».

أعطته بيل قبلة خفيفة كبادرة عادية جداً تقوم بها لتهنئة العريس. وقبل أن تبتعد، قالت له: «إضمن حصولك على ثروتك ومن ثم نستقر إلى الأبد. ولا تدع تلك المخلوقة البائسة تقع في غرامك».

المخلوقة البائسة!

لم يعتقد الستير أن بيل قصدت ما تقول. هذا ما فكر به بعد أن تمكن من الطلب من زوجته الجميلة الجديدة مراقصتها. لكن هذا الوصف علق في ذهنه طوال الأمسية.

قالت له ما إن اصبحت الموسيقى أكثر بطئاً:

ـ بيل تبدو فائقة الجمال.

دار بها وهما يرقصان وابتسم لعينيها الفرحتين؛ وقال: «وكذلك الرجل الذي كنت تراقصينه».

أجابته ضاحكة: «يبدو من خلال كلامك أنك تغار يا الستير دي كاستالييه».

ـ وكيف عساني أغار؟

ـ كيف بالفعل، عندما تكون بيل حيثما تريدها أن تكون؟

ولكن في تلك اللحظة كانت زوجته في المكان الذي يريدها أن تكون فيه: بين ذراعيه.

رقصا حتى بزوغ الفجر، ثم بعد أن ودّعا آخر المدعوين، نظر

الستير إلى عروسه المرهقة وشعر برغبة جامحة في أن يرفعها ويحملها إلى جناح العرسان الذي كان ينتظر قدومهما.

ما حصل كان وفق الخطة المرسومة وكلّ شيء كان على خير ما يرام. لكنه أراد أن يحصل تغيير في خططهما. أراد أن يكون الباب الذي يفصل بينهما مفتوحاً!

لم يرَ في حياته امرأة تتحلّى بجمال يحاكي جمال زوجته في تلك الليلة.

زوجته؟

خيّل إليه أنه سيجنّ. يجب أن يتوقف عن التفكير على هذا النحو. هذه المرأة روز... لا غير. حسب بنود هذا الزواج لم تكن زوجته، فعلياً. كان الأمر مجرّد صفقة عمل ليس إلاّ...

سألها لمجرد فتح حوار بينهما: «هل تشعرين بالتعب؟».

ضحكت وأجابت: «وكيف يمكنك أن تشك بالأمر؟ ولكنه كان أجمل يوم في حياتي، يوم لا يمحى من الذاكرة»..

قال لها: «عندي هدية عرس لكِ».

ـ هدية عرس؟

حدّقت به بتعجب وأضافت: «لا حاجة إلى ذلك؛ لقد اعطيتني بما فيه الكفاية».

ابتسم لها وقال: «ليس ما يكفي تماماً. بما أنني لا أعرفك جيداً سألت بيرت عمّا ترغبين فيه وأحضرته لك... اغمضي عينيك».

كان الفجر يبزغ في تلك اللحظة. لذا كانا واقفين عند ضفة النهر وحدهما. قال لها برقة: «سوف أقودكِ إلى الهدية».

وأمسك بيدها وأضاف سائلاً: «هل تثقين بي؟».

اجابت في سرّها: من كل قلبي. لكنها اكتفت بإيماءة.

www.elromancia.com

كانت هدية عرسها على الجانب الآخر من القصر.

كانت كومة ضخمة يبلغ ارتفاعها ست أقدام وقد لفت بقماش أبيض.

سألها: «ألن تفتحيها؟».

ـ لا أظن أني أملك الجرأة على ذلك.

نظرت إلى الهدية وكأنها ستعضّها. فأضافت: «يبدو وكأنه ديناصور».

ابتسم وقال: «اللعنة، لقد حزرت».

ابتسمت، لكن ابتسامتها كان يشوبها القلق وقالت: «الستير، ما كان يجدر بك القيام بذلك. هذا يجعل الأمر يبدو..».

ـ يجعله يبدو ماذا؟

ـ يجعل الزواج يبدو حقيقياً.

راقه الجواب. يمكنه أن يحتفظ بها كزوجة لمدة عام، وهذا أفضل من ألاّ تكون زوجته إطلاقاً. انّب نفسه قائلاً في سرّه: لكن بحق السماء، ما الذي أفكر فيه؟

ألم يقطع عهداً بينه وبين نفسه عندما توفيت ليزا؟ ألم يعلّمه موت ليزا أي شيء؟

هذا زواج مصلحة، ليس إلاّ.

قال لها: «افتحيها».

أخذت نفساً عميقاً وقالت لنفسها: كوني رسمية. ركّزي على الهدية.

كان عليها أن تقطع الشريط الكبير ثم أن تنتزع القماش الذي يغطي الهدية. وبداخلها...

تراجعت إلى الوراء وقالت بذهول: «حجارة كبيرة مقصوصة

ومصقولة؟».

ـ قال لي بيرت إن أحد الأسباب التي جعلته يستخدمك هو براعتك في العمل على هذا النوع من الحجارة.

حاول الستير ألاّ لا يظهر في نبرة صوته مدى سعادته لقيامه بهذا العمل. فقد استلزمه تحضير هذه الهدية الكثير من التنظيم والجهد.

تابع يقول: «أخبرني بيرت أيضاً أن السبب الرئيسي لتشقق يديك هو قصّ الحجارة وصقلها لكي تصبح مناسبة تماماً».

ـ وإلاّ لن تبدو جيدة.

أمسكت بيني روز بإحدى الحجارة وحدّقت فيها غير مصدّقة. كان بيرت يرفض أن يعطيها الوقت الكافي للقيام بهذا العمل. فكانت تستغلّ أوقات الغداء والأمسيات كي تجعل حجارتها تبدو رائعة وجميلة. لكنّ ذلك العمل استلزم منها الكثير من الجهد. وها هي أمامها مقطّعة وجاهزة.

لم تصدق ما تراه بعينيها. فسألته: «كيف..؟».

شرح لها الأمر قائلاً: «وظّفت رجالاً من خارج فريق العمل. أراهم بيرت ما كنت تقومين به وطلب منهم القيام بالمثل وتطبيق ذلك على الكثير من الحجارة. وتمّ تسليمي الهدية هذا الصباح».

عندما أعادت الحجر إلى مكانه رفع يديها وتلّمس بأصابعه بشرة يدها الخشنة. تابع يقول: «لذا، في السنة القادمة يمكنك المضي في بناء الجدران، لكن العمل المرهق قد تمّ انجازه».

ـ آه، الستير!

ـ هذه فكرة بيرت.

ـ ليس الأمر كذلك.

لا شك أنّ الستير هو الذي فكّر بهذا الأمر. تذكّرت أنه منذ

www.elromancia.com

أسبوعين رآها بعد أن جرحت يدها وهي تحاول أن تصقل حجراً. ابتسمت قائلة: «بيرت لم يكن ليفكر بهدية كهذه».

بعد ذلك، ساد الصمت. سحبت يدها من يده بتأن، فلسبب ما شعرت فجأة أنه من المهم أن تفعل ذلك.

* * *

انسابت دمعة على خدها، وتلتها أخرى، مسحتها بظاهر يدها. وهذا ما جعل الستير يشعر فجأة بالكثير من الرومنسية. تساءل ما سبب هذه الدموع؟ ألأن هناك امرأة تعتبر كومة من الحجارة أعظم هدية؟

مدّ يده ليلمسها، لكنها رجعت إلى الوراء وكأنها تخشى أن تصاب بلدغة، وقالت: «لا!».

نظر إليها وقال: «لا ماذا؟ ألا تعجبك هديتي؟».

ـ بل تعجبني...

إلا أن بيني روز عرفت سبب تراجعها إلى الخلف. كانت تعلم ما الذي كان على وشك الحصول ولم تكن تريد لهذا الرجل أن يعانقها. لم يأن الأوان لذلك. لم يكن بالأمر الصائب. أرادت أولاً أن يقع في غرامها وأن يحبها كما تحبه.

تمتمت بلطف: «أنا... أنا عندي لك هدية أيضاً».

أيقظه كلامها سريعاً؛ هدية!

قال قبل أن يتمكن من إيقاف نفسه: «ليس لديك مال».

حملقت فيه بغضب وأجابت: «أنت محق. لكن بعض الأشياء يُمكن الحصول عليها من دون مقابل».

ـ وما هي؟

ـ ليست موضوعة في صندوق مخملي، كما أنها ليست مغلّفة بورق هدايا.

ـ روز، ما من داعٍ لأي هدية.

قالت بشكل عفوي: «أعطيتني كل شيء لذلك لا بدّ من أن أهديك شيئاً. فكرتُ كثيراً في ما عساي أقدّم لك، إلى أن قرّرت أخيراً».

ـ ماذا؟

ـ تعال وانظر.

مرة أخرى سارا في أرجاء القصر ولكن هذه المرة باتجاه الناحية الجنوبية، عند حدود الغابة. كان مكاناً في غاية الجمال والروعة. تعرّفت بيني روز إلى ذلك المكان ذات يوم عندما كانت تبحث عن بقعة هادئة لتناول الغداء. ومنذ ذلك اليوم راحت تتردّد إلى هناك.

أخيراً سألت مرغريت عن تلك البقعة. فقالت لها مرغريت حينذاك: «زوجي كان يحب القصر، لذلك دُفن هنا، وعائلة ليزا لم تتحمل فكرة دفنها لوحدها. فارتأينا دفنها إلى جانبه».

لذلك كان هناك ضريحان في وسط الغابة تحيط بهما الأزهار.

وقالت لها مرغريت أيضاً: «لقد زرع الستير بيده الازهار البرّية والورود والنرجس... وهكذا تبقى الأزهار طوال أيام السنة».

الشيء الوحيد الذي لم يرق لبيني روز في تلك البقعة هو السياج، إذ كان هناك سياج بسيط من الأسلاك حول الضريحين لكي يحول دون دخول الماشية. وقد بدا وجود هذا السياج شاذاً في مكان جميل كهذا، لذلك قامت بإصلاحه وتجميله.

لم يحضر الستير إلى هذا المكان منذ أسابيع. فقد كثرت مشاغله ولم يتسنّ له الوقت لذلك. لكنه الآن رأى ما قامت به قبل أن يصلا إلى المكان. خفف من سرعة خطواته، وتوجّه نحو السياج حيث أخذ يتأمله.

كان أجمل سياج حجري رآه في حياته. وقد بني بعناية ومهارة

www.elromancia.com

فائقتين، بحيث يؤمن الحماية والصيانة للضريحين لسنين طويلة.

أخذت تراقب وجهه قلقة، وأضافت: «أول يوم جئت فيه إلى هذا المكان، رأيت مجموعة من الأرانب الصغار تقضم الزهور. فقلت في سري: إذا كان هذا ضريحي، فهذا ما قد أرغب فيه».

خيّم صمت قطعته بيني روز وهي تتكلم همساً وما زال القلق يساورها: «أستطيع أن أهدمه إذا لم يعجبك. لكنه الشيء الوحيد الذي كان بإمكاني القيام به من أجلك. أعلم أنك أحببت والدك وأحببت ليزا، فبدا لي هذا عملاً صائباً».

صعد الستير إلى المرقى دون أن ينبس ببنت شفة. وعندما وصل إلى الأعلى مدّ يده. تردّدت بيني روز قليلاً ثم وضعت يدها في يده وصعدت معه. رفعت فستان العرس بعناية ثم وصلا سوية إلى الداخل.

كانت الازهار البرية تحيط بهما وقد رافقتهما رائحة الصباح، والندى.

استناداً إلى ما أخبرتها مرغريت كانت ليزا بمثابة ابنة لوالدي الستير. كانا يخصّان الستير ولهما معزّة خاصة في قلبه، ومن الصواب أن يُدفنا معاً.

قال بصوت متهدّج: «شكراً، شكراً».

سمعته بيني روز وابتسمت رغماً عنها، إذ كانت تشعر بالتأثر والبكاء مثله تماماً.

سألته: «ألديك محرمة؟».

ابتسم وقال: «لقد اعطوني زهرة في عروة سترتي بدلاً منها».

ونزع الوردة الحمراء من جيب سترته وأضاف: «لا تشكّل بديلاً عن المحرمة، ولكنها لكِ فما هو لي يصبح لك».

كانت جملة بسيطة، مبادرة طيبة. لكنها علقت بينهما مثل وعد

طلوع الصباح.

الا أن الصباح كان قد أطلّ فقالت: «من الأفضل أن نعود إلى القصر. علينا أن نكون في الطائرة اليوم بعد الظهر ولم نخلد إلى النوم قط...».

ـ معك حق.

لكنه لم يستطع إبعاد نظره عنها فقال: «علينا الانطلاق في شهر العسل».

صححت قوله: «عطلة. يجب أن نكون متزوجين بحق وحقيق لقضاء شهر عسل».

ـ ألسنا متزوجين فعلاً؟

فقالت: «لا يا ألستير. لسنا كما تقول».

نظرت إلى ضريح ليزا وارتسمت على شفتيها ابتسامة صغيرة وقالت: «آمل أن نصبح أنا وأنت كما كنت أنت وليزا. صديقين عزيزين. لكن هذا لا يصلح كأساس جيد للزواج».

ـ ليزا وأنا كنا نعتقد أنه أساس جيد.

ـ لكنني لست ليزا.

بقيت على أعلى السياج للحظة وهي تنظر إلى الأسفل. بدت جميلة بشكل لا يوصف في ثوب العرس بكلّ بهاء، ومن ورائها سطع نور الفجر وتحت قدميها امتدت سجادة من الزهور البرية.

أضافت قائلة: «هذه هي أنا: بيني روز، الفتاة التي تزوجت من أجل المال. أنا عروسك لمدة سنة. ولكن فقط لمدة سنة يا ألستير دي كاستتاليبه. دعنا لا ننسى هذا».

الباب بين ألستير وعروسه كان موصداً.

ـ ليلة سعيدة.

www.elromancia.com

قالت له هذا برقة وعذوبة عندما عادا إلى القصر. وقفت على أطراف أصابع قدميها لتقبله. لكنها كانت قبلة وداع عابرة لا أكثر، ثم أردفت قائلة: «لدينا ثماني ساعات قبل أن تقلع بنا الطائرة. سأذهب لأحظى بقسط من النوم وأنصحك القيام بالشيء نفسه».

ولكن كيف كان يمكنه أن ينام بينما صرخ كل عرق من عروق جسده قائلاً له إن عروسه في الجهة الاخرى من الباب.

فكّر في بيل. لقد وعد بأن يتزوجها. هذا هو نوع الزواج الذي كان يرغب فيه، ليس ما قد يحصل بينه وبين روز. لقد كرّس نفسه لـ ليزا وانتهى به الامر إلى مأساة. وخاطب نفسه قائلاً: إذا حصل شيء من هذا القبيل مرة ثانية فسأصاب بالجنون.

ولكن لعله قد أصيب بالجنون فعلاً!

* * *

١٠ ـ هل يؤذي الحب؟

إنّ مرافقة العائلة لهما في شهر العسل لم تجعل منه أقل رومنسية. في البداية اعترضوا على الفكرة إذ أرادوا أن تمضي شقيقتهم شهر عسل يعلق في ذاكرتها إلى الأبد.

بيني روز وألستير اعترضا قائلين: «نريد أن نستمتع بوقتنا بمعيتكم».

ولكن كلامهما لم يلق آذاناً صاغية. قالت لهما هيتر بصراحة: «نحن لا نريد أن نمضي الوقت معكما، لقد حجزنا هذا الصباح مركباً لنتلقى دروساً في قيادتها لذا عليكما إيجاد شيء آخر تقومان به. أتساءل ما هو؟».

ابتسمت لهما بخبث وتوارت عن الأنظار.. ما جعلهما منفردين مرّة أخرى.

فقالت له بيني روز: «أنا... سأتمشى».

حدّق فيها الستير بسخط. فخلال الأيام الماضية، لم تسترح على الإطلاق. والجزيرة لم تكن كبيرة إلى حدّ يمكّنها من الابتعاد عن بعضهما البعض إلى الأبد. فقال لها: «هل يمكنّهما مرافقتك؟».

بدت وكأنما تفكّر بالأمر جدّياً، وكأنّها لا ترغب في مرافقته لها. فقالت: «أنا... إذا شئت».

www.elromancia.com

ـ أودّ ذلك بالفعل.

بالطبع أراد أن يرافقها. قد لا يكون عملاً صائباً، لكنها بدت فاتنة تحبس الأنفاس، ومن لا يودّ مرافقة امرأة كهذه؟ خاصة إذا كانت هذه المرأة زوجته... بالاسم فقط!

منذ وصولهما إلى الجزيرة عوملا وكأنهما متحابان جداً وكان من الصعب عليهما أن يحافظا على العلاقة الرسمية ما بينهما. أما ترتيبات المبيت فكانت الأصعب على الاطلاق، إذ كان هناك ثلاثة أكواخ مخصصة للنزلاء في الجزيرة.

لكن ليز وهيثر اتخذتا لهما كوخاً ومايكل اتخذ آخر، فبقي جناح العرسان فقط.

كان جناحاً بسيطاً لكنه جميل بتصميمه، يتوسطه سرير واحد ضخم يحتلّ أكثر من نصف مساحة الغرفة. وهكذا، رُسمت خطة معقولة تقضي بصفّ عدد من الوسائد في منتصف السرير.

ونجحت... إلى حدّ ما، لكن أثر الظلال السوداء تحت عيني بيني روز كشف لألستير عن أنها تشعر بمثل ما يشعر به من توتر وإجهاد. كانت بعيدة عنه بقدر ما كانت قريبة منه.

لم يكن بمقدوره أن يدعها تقترب منه أكثر، وإلاّ عندما تأتي النهاية سيصاب بالجنون.

ولكن من الغباء المطلق أن يقع في الغرام. ألم تعلّمه الحياة شيئاً؟ سألته بيني روز: «هلاّ قلت لي بماذا تفكر؟».

رفع رأسه بدهشة واستغراب. كانا يمشيان في المياه حافيين يشقان طريقهما وسط زبد البحر.

استطاع أن يبتسم رغماً عنه وأجاب: «كنت أفكر ببيل».

تلاشت ابتسامة بيني روز. بيل، طبعاً! هي ما يفرّق بينهما. فقالت

له:

ـ لا بد أنك مشتاق إليها.

ـ أنا... نعم.

أقرّت قائلة: «سيكون ذلك صعباً عليكما؛ لكنّ وجود أشقائي هنا لا بدّ من أن يسهّل عليها الأمر أكثر».

قال لها: «وهو كذلك... إنّ بيل تستحسن الفكرة».

ـ أنا سعيدة بذلك.

ولكن بيل دعتها بـ «المخلوق النكرة».

نظر الستير إليها. كان النسيم الناعم اللطيف يعبث بشعرها. أمّا الشمس فكانت دافئة على وجهها وهي تتنشق رائحة هواء البحر.

قالت له بهمس: «أليس هذا رائعاً».

فما كان عليه إلاّ أن يوافقها الرأي وهو يبتسم قائلاً: «حتماً».

لكنه لم يكن يقصد بذلك كلامها.

ربما كان من الأفضل له أن يتجّه نحو الماء!

رأت ثلاثة قوارب تجوب المياه. كان اشقاؤها يقومون بنزهة بحرية. راقبت المشهد صامتة بعض الوقت ثم تنهدت وابتسمت قائلة بجدية: «الستير، أريد أن أشكرك لما تفعله من أجلنا».

ـ أقوم به من أجلي أنا.

أجابته برقة: «لا أعتقد ذلك».

وقبل أن يتمكن من ايقافها، أمسكت بيده وراحت تتلمس الخطوط القوية على معصمه وهي تقول: «أظن أنك تقوم بهذا من أجل السكان والمستأجرين لديك ومن أجل بيل وأمك... ومن أجلي... ولكن ليس من أجلك أنت. أصبحت أدرك بأنك لا تودّ أن تكون إحدى الشخصيات الملكية».

www.elromancia.com

لمسة يدها أفقدته رباطة جأشه. تنازعته رغبتان في داخله: رغبة في الانسحاب والفرار ورغبة أخرى في الدنو منها أكثر.

قالت: «أنت تكره الأضواء والشهرة».

ـ أنا... نعم.

ـ سيتفاقم الأمر.

ـ لفترة وجيزة.

ـ بسبب زواجنا؟

ـ أعتقد ذلك.

ـ والطلاق في النهاية؛ سيثير ذلك هرجاً ومرجاً.

هزّ كتفيه لا مبالياً وقال: «يمكنني التكيف مع الأمر».

فقالت له: «أتمنى لو كان باستطاعتي أن أهوّن الأمر عليك».

الطريقة الوحيدة التي يمكنها فيها أن تخفف عنه هي أن تنصرف على الفور. بدأ يشعر وكأنه ممزق إلى نصفين: يريدها بقربه...

ثم اقترح عليها قائلاً: «هيا بنا نسبح».

لاعبت المياه بأصابع قدميها وقالت: «ليتني استطيع ذلك».

لقد نسيَ مرة أخرى أنها لا تجيد السباحة. اكتشف ذلك منذ اليوم الأول.

أراد أن يعلّمها السباحة ولكن كيف يسعه ذلك من دون أن يلمسها؟ وكيف يمكنه أن يلمسها من دون أن...؟

سحب يده من يدها وكشّر قائلاً: «حسناً، أنت تلعبين في الماء وأنا أسبح قليلاً».

هذه فكرة جيدة ومناسبة فبهذه الطريقة يستطيع أن يفرغ من طاقته الجسدية وكلما تعذر عليه السيطرة على الامور، راح يسبح، بينما استمتعت هي بوقتها في المياه الضحلة.

توقف الستير عن السباحة عندما لفتت نظره بين الأمواج العالية والمتلاطمة مجموعة من الدلافين.

مضى الستير يراقب تلك المخلوقات البحرية لبعض الوقت ثم ألقى نظرة على روز. كانت مستلقية في المياه التي تداعب أطراف قدميها. كانت ترتدي ثوب سباحة قرمزي اللون. بدت سعيدة وجميلة للغاية.

قد لا تتسنّى للمرء رؤية الدلافين سوى مرة في حياته لذا على روز أن تشاهدها.

لم تكن لتستطيع أن تراها من مكانها بشكل جيد. خطر بباله أنهما يستطيعان رؤية الدلافين سوية إذا سمحت له القيام بذلك. ولكي تسمح له بأن يأخذها إلى المياه العميقة وهي لا تجيد السباحة يعني أن ثقتها به عمياء.

فصاح بملء صوته: «روز».

وتوجه إلى حيث كانت مستلقية: «تعالي وانظري. إنه لمشهد ساحر فتّان».

كان أمراً ساحراً كما كانت ثقتها به.

استسلمت لقبضته معتمدة كلياً على قوّته وهو يحملها إلى البحر. كان يعلم مدى اعتمادها عليه. قال لها: «حركي قدميك».

وشعر بها تقوم بذلك.

كانت شجاعتها حازمة. إنها سيدة مميزة بالفعل.

لكنها بدت وكأنها لم تشعر بوجود الرجل الواقف إلى جانبها، فقد صبّت اهتمامها على الدلافين.

ولمَ لا؟ فأي شخص لم يرتد الشاطىء بتاتاً تراه يكون مأخوذاً بتلك الحيوانات التي تضج بالحياة.

همست روز: «شيء في منتهى الروعة والسحر».

www.elromancia.com

وكان لا بدّ من أن يوافقها الستير الرأي: إنه شيء يفوق الخيال بسحره. وكما ظهرت الدلافين فجأة، رحلت بالمثل متراجعة من بين الامواج وقافزة على طول الشاطىء ماضية في البعيد لتثير الفرح والسرور في قلوب الصغار وهم في مراكبهم.

ثم همست روز قائلة: «أتعتقد بأن القيمين على الجزيرة يستفيدون مادياً من هذه الدلافين؟».

فأجابها: «نظراً للمال الذي ندفعه فمن الجائز أن تكون هذه الدلافين قد تلقّت تدريبها من مالي».

أغمضت بيني روز عينيها لتستوعب المشهد وجماله الأخاذ.

ثم فتحت عينيها من جديد وقالت ببساطة: «أعدني إلى الشاطىء. شكراً لأنك أحضرتني إلى هنا، ولكن حان الوقت لقدميّ أن تدوسا الأرض».

فسألها: «هل تودين تعلّم السباحة؟».

وكأن أحداً سواه قد طرح عليها هذا السؤال. لم يكن يعني ما قاله. وتساءل في سرّه: هل اود أن...؟

فابتسم قائلاً: «يمكنني أن أعلّمك. لقد علمت ليزا من قبل».

جاء الاسم على لسانه تلقائياً دون أي جهد ومشقة... لم يتحدث عن ليزا أو يذكر اسمها منذ وفاتها. كان يحاول ألاّ يفكر فيها. لكن شريط الذكريات دار الآن في رأسه.

ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتيه وكأن عبئاً ثقيلاً قد انزاح عن كاهله والذكريات المتبقية عبقت بنور الشمس والضحكات والحب. ولكن ليس الحب الجارف والهيام.

قال في سرّه فيما كانت بيني روز تراقبه إنه وليزا كانا صديقين حميمين بحيث أنهما لم يرغبا في المزيد أو بكل بساطة لم يعلما أن

هناك ما هو أكثر من الصداقة. كما أنها توفيت قبل أن يتمكّنا من معرفة ذلك.

والآن... هو يعلم بوجود ما هو أكثر من الصداقة لأنّ ما يكنّ من مشاعر لهذه المرأة كان مختلفاً تمام الاختلاف. ولكن... سحقاً!

إلا أنّ بيني روز رفعت نظرها إلى عينيه وعرف أنها فهمت ما يدور في خلده.

قالت برقة: «إذا استطعت أن تعلّم ليزا، فبإمكانك أن تعلّمني أنا أيضاً. آه يا الستير، أودّ ذلك من كل قلبي».

وهكذا بدأ واحد من أمتع أيام الستير وأغلاها على قلبه.

قال: «تمدّدي كلوح خشبي. ولا ترفعي رأسك فوق الماء حتى المس كتفيك».

وضع يده على بطنها وأمسك بها وهو يسندها بشكل تام. الشعور الذي انتابه لدى ملامسته جسدها كان مثيراً. لم تقم بأي حركة حتى لمس كتفها. ثم لهثت وركعت على الرمال وهي تضحك من شدة السرور.

قاما بذلك مراراً وتكراراً حتى كادت تعوم بمفردها.

وقالت له: «يا له من شعور رائع».

ـ ستشعرين بفرادته وغرابته أكثر. هذه المرة سأخفف من قبضة يدي. ستشعرين أن المياه تسندك عوضاً عنّي.

وعامت كما لو كانت تقوم بذلك منذ الطفولة. وحدق في جسدها الجميل وكاد أن ينسى ملامسة كتفها!

ضحك لسعادتها وهو يحاول جاهداً أن يتجاهل الشعور الغريب الذي انتاب جسده.

لاحت ابتسامة عريضة على وجهها وقد جنحت عواطفها بفعل

الشمس والأمواج والسعادة.

وفجأة تلاشى جو المرح. كانا واقفين في المياه ينظران إلى بعضهما البعض.

الجاذبية بينهما كانت طاغية ملموسة وحقيقية، تزداد قوة في كل ثانية.

وسأل ألستير نفسه بيأس: كيف سأرقد إلى جانبها الليلة؟.

قال لها: «لنتكلم عن الغداء».

كانت تتضور جوعاً ورأت أنه من الممكن للعاطفة أن تتراجع. أمر مؤسف بالفعل، لكنها لن تستبق الأمور. فقالت له: «الآن يمكنني القول إن لكلامك مغزى؛ اتساءل ما إذا كانت شرائح السمك على لائحة الطعام».

ابتسم لها ونظر إلى ساعته وأضاف: «الوقت حان لوضع شرائح السمك على المائدة. أسرعي إلى غرفة الطعام يا روز أوشاي».

اجابته بتواضع: «بيني روز دي كاستلييه، سيدي».

بينما كان يمعن التفكير بكلامها هذا وهما على المائدة، استطاعت أن تسبقه في تناول الغداء بأشواط.

مع حلول الظلام، تمكنت بيني روز من السباحة بمفردها. وكانت فخورة جداً بنفسها حتى كادت تتفجر فرحاً... ووقت تناول العشاء صاحت مبتهجة: «بإمكاني أن أسبح، بإمكاني أن أسبح!».

فنظر إليها إخوتها بتعجب.

قالت لها هيثر: «تتكلمين مثل طفلة في العاشرة من عمرها».

ـ أشعر بأنني كذلك.

ابتسمت هيتر لشدة فرحها بأختها، غير أن ألستير شعر بأنه خائن لأن إخوة بيني روز يسلّمون جدلاً بأنه تزوجها لأنه يحبها وهو لم يفعل

شيئاً من هذا القبيل. فبعد اثني عشر شهراً سوف يتركها ويذهب بعيداً... إلى بيل مجدّداً.

لن تحضر بيل أبداً إلى مائدة الطعام وأنفها ملطخ بالرمال، حافية القدمين وبوجه خالٍ من مساحيق التجميل. فكّر بهذا وهو يتأمّل وجه روز الجميل الضاحك. ربما كان قراراً مناسباً. قالت له بيني روز: «تذوّق بعض الكركند».

بدت غافلة كلياً عن الاضطراب المعتمل في داخله، وتابعت تقول: «يبدو أن هذا الكركند يدافع عن نفسه حتى وهو ميت. لا أستطيع أن انتزع لحمه».

كلامها جعله يبتسم. كانت منهمكة في تناول الطعام واستمتاعها بالوجبة كان واضحاً. فعادت به الذكرى إلى الليلة التي تناولا فيها العشاء لأول مرة.

فقال لها: «اسمحي لي».

وساعدها في قطع اللحم ثم انحنى إلى الامام ووضعها فجأة في فمها. رفعت نظرها وحدّقت فيه.

كانت لحظة مليئة بالإثارة. وسمع هيثر تخاطبهما من الخلف: «عذراً، هل نقاطعكما؟».

أجابتها بيني روز: «لا». وقد احمرت وجنتاها من شدة الخجل.

ثم أبعدت الصحن عنها وهي تقول بصوت مرتبك: «أنا ذاهبة إلى الفراش».

لم يصدّق مايك أن بيني روز ذاهبة، فقال لها: «لكّن الحلوى ستُقدّم الآن».

أعادت بيني روز كل انتباهها إلى شقيقها الاصغر وقالت له: «تناول حصتي، أو سوف يساعدك الستير».

www.elromancia.com

لمحت الطريقة التي كان الستير يرمقها بها. وأضافت: «عمتم مساء».

وخرجت بسرعة. فبقي ألستير مع إخوتها الذين كانوا ينظرون بترقب. لم يكن بإمكانه أن يخيب آمالهم، فقال لهم: «أظن أني سأخلد إلى النوم أيضاً».

ابتسموا معبّرين عن استحسانهم للفكرة. أمّا هو فصاح بينه وبين نفسه: النجدة!.

لكن الترتيبات في غرفة النوم لم تكن لتحتمل أو تطاق. عندما عاد إلى كوخهما كانت روز تستحمّ ولم يكن لدى الستير أي شيء يقوم به سوى الاستلقاء على الفراش والتفكير بزوجته الجميلة وجسدها الرائع ينزلق في رغوة الصابون وهي تغسل عنه الملح والرمال.

كان على وشك أن يصاب بالجنون هذا إذا لم يكن قد سبق وأصيب به، فخرج ليتمشى قليلاً.

تساءل في سرّه: اين عساي أذهب؟

ثم اتجه عمداً نحو إخوة بيني روز الذين كانوا يلعبون الورق. ومن المكان الذي كان واقفاً فيه وسط الظلام، استطاع أن يراهم على الشرفة يضحكون ويلعبون.

ماذا سيقول لهم؟ أسيقول: «هل أستطيع أن ألعب معكم؟ إن اختكم تستحم وهذا يدفعني إلى الجنون!».

سيعتقدون أنه مخبول بالفعل. إنهم في منتهى اللطف ويظنون أنه مغرم بأختهم.

هذا هراء فهو ليس مغرماً بأحد. لكنها زوجته... عروسه... عروسه العذراء.

لكن الأمور يجب أن تبقى على ما هي عليه. فآخر ما يتمناه هو أن

يصعّب عليها أمر الرحيل.

ولكن، هل كان متأكداً مما اراده؟

لقد عرف ما لم يرده. لم يرد الالتزام.

في الواقع، لم يرد الزواج. لقد وافق على الزواج ببيل لأن أمه أرادت أن يحظى بأحفاد. هو أيضاً أحب فكرة انجاب الاولاد، فقد كان بحاجة إلى مضيفة فحسب والامر كله بدا منطقياً. وهذا اساس مقبول للزواج: العقل والمنطق.

ولذلك عليه أن يعود مباشرة إلى الكوخ ويستلقي على الجانب الآخر من الوسائد وينام في الحال.

عاد الستير إلى الكوخ ليرى وجه روز متورّداً.

كانت ترتدي قميص نوم مثيراً للغاية، وهو إحدى تلك القطع النسائية اللعينة التي ابتاعتها من باريس. وقف تحت الدش البارد لمدة طويلة جداً. وحين خرج من الحمام كانت مستلقية والغرفة شبه مظلمة.

كانت لا تزال مستيقظة وهي تبتسم له من خلال الضوء الخافت وهو يمشي في اتجاه الناحية المخصصة له من الفراش.

والله وحده يعلم كم صعب عليه أن يستدير حولها لكي يصل إلى مكانه.

هذا جنون!

همست قائلة: «هل تشعر بتحسن؟».

أومأ برأسه وأجاب: «نعم، شكراً».

لكنه كان يكذب.

فقالت له بصوت ناعس: «لقد كان أروع يوم في حياتي. شكراً لك يا الستير».

قالت هذا بينما انسلّ الستير تحت الملاءة. وقال: «لا تفكري

www.elromancia.com

بالموضوع».

وأجبر نفسه على الابتسام ثم اطفأ النور كي لا يضطر إلى اخفاء تعابير وجهه. لكنه ما زال يستطيع رؤية تقاسيمها وانحناءات جسدها في ضوء القمر. كانت قريبة منه بشكل لا يُحتمل. ثم خاطبها قائلاً: «أنا أيضاً استمتعت بوقتي».

ـ أنت مدرّب سباحة استثنائي.

أجابها بحرارة: «هناك اشياء كثيرة لم أعها من قبل في شخصيتي كأمير؟ مدّرب سباحة...».

ـ وزوج؟

أجاب بصوت عالٍ: «إخوتك يعتقدون أن هذا الزواج حقيقي».

أجابته برقة: «هم فعلاً يعتقدون ذلك. هل تمانع؟».

انتزع الجواب من فمه قائلاً: «لا... إلا إذا كنت أنتِ تمانعين. ستكون الأمور أكثر صعوبة في نهاية السنة».

ـ الستير، دعنا لا نقلق عما سيحصل في نهاية السنة. أما الآن... فهذا هو شهر العسل الذي حلمت به والعطلة التي حلمت بها. لقد تعلمت السباحة. أنا هنا مع شقيقتيّ وشقيقي، و... معك. لا استطيع أن أحظى بمثل هذه السعادة مهما حاولت إلى ذلك سبيلاً.

وهو أيضاً يستطيع أن يكون سعيداً. يستطيع أن يكون سعيداً أكثر بكثير: كل ما عليه القيام به هو ازاحة هذه الوسائد اللعينة جانباً!

عليه أن يبقى جدّياً ويتصرف بشكل رسمي. فأجابها: «أنا مسرور لأنك تمضين أوقاتاً سعيدة».

ـ أنا أمضي أوقاتاً رائعة.

ودون أن ينتبه لما يحدث، مرّرت يدها من تحت الوسائد لتلامس يده. كانت أصابعها دافئة وثابتة حين شدت يده نحوها. ثم رفعتها نحو

شفتيها وقبّلت أطراف أصابعه برقة.

كانت إيماءة تعبّر فيها عن شكرها وامتنانها، لا أكثر.

قالت له بعذوبة: «كل شيء رائع وساحر».

أفلت يده من يدها وبصوت مخنوق، قال: «سيكون له نهاية».

أصبح صوتها جدّياً ورصيناً فجأة لكنها كانت لا تزال تهمس في الظلمة. الشعور السائد كان حميماً بشكل يصعب وصفه. سألته: «الستير، لِمَ تخاف من الالتزام؟».

ـ لا أخاف منه.

ـ بل تخافه.

شعر بها تبتسم وهي تضيف: «أنت جبان للغاية».

قال لها: «أفضّل أن أكون جباناً على أن أموت حزناً».

ضحكت ضحكة خافتة وقالت: «أمير شجاع. أهذا هو المبدأ في سلالتك الملكية؟ من يحارب ويفرّ من المعركة يحيا لكي يحارب في يوم آخر؟».

ـ هذا القول فيه الكثير من الصّحة.

ما حدث بينهما كان عبارة عن مشهد سريالي وهما مستلقيان في الظلمة وهو يتحدّث إليها وكأنه لم يكن بينهما فاصل.. سوى تلك الوسائد اللعينة.

قالت: «أجبني بكلّ صراحة وجدّية».

ـ عن ماذا؟

ـ لمَ لا تطلق العنان لمشاعرك وتحبّ بيل؟

أجاب في قرارة نفسه: لأنه ما من سبب يحملني على الوقوع في غرام بيل. لكنه لم يقل ذلك. وتابع قائلاً في سره: بينما أنت...

ولكن كان عليه أن يعطيها جواباً معقولاً، جواباً يعكس الحقيقة

www.elromancia.com

حسب اعتقاده. فقال: «أخبرتك من قبل. الحبّ ليس من شيمي».

وبصوت حرصت على إبقائه عادياً قالت: «ألأنك قد تصاب بجرح ما أو بأذى؟».

ـ لأني سأصاب بالجرح عاجلاً أم آجلاً. أما أنتِ.. وإما بيل. لا شيء يدوم إلى الأبد.

ـ إذاً...

سألته: «إذاً، حين تصمّم أبنيتك، أتحسب أنها ستبقى صامدة لآلاف السنين؟».

ابتسم في الظلمة وقال: «كالأسوار التي تبنينها؟ لا. فأنت تأتين في المرتبة الأولى في هذا المجال».

ـ كم من الوقت باعتقادك تبقى مبانيك صامدة، لنقل بشكل عام؟

لم يفهم قصدها. فهزّ كتفه وأجاب: «أودّ أن تبقى صامدة مئة سنة ولكن ربما تصمد في الحقيقة لأربعين عاماً أو أقل».

ـ لكنك لا تزال تعتقد أنها جديرة بالبناء.

اللعنة! لقد علق في فخها والوسائد ليست عالية بما فيه الكفاية!

وتدبر جواباً: «الأبنية أمر مختلف تماماً».

أجابته برقة: «أخال ذلك. إنها تختلف عن العلاقات الانسانية، ولكن في بعض الأحوال تشابهها تماماً. فإذا بقي المبنى صامداً لمدة أربعين سنة فلا يزال يعتبر بالغ الروعة ما دام قائماً».

لقد بدأ يفهمها جيداً. ثم قالت له برقة: «لقد فقدت ليزا. تقول إنها كانت أفضل صديقة لديك. اليوم أخبرتني كيف علّمتها السباحة عندما كنتما طفلين. فإذا سنح لك الوقت مرة أخرى هل تفضل ألاّ تمضي ذلك الوقت معها؟ لأنها قد تموت؟».

ـ هذا ليس من شأنك.

كانت تضع الاصبع على الجرح وتقترب من الحقيقة المؤلمة.

ـ أنا مهتمة بالأمر ليس أكثر.

ـ حسناً، كفّي عن اهتمامك هذا. نامي.

استمرت بيني روز في سبر الأغوار والضرب على الوتر الحسّاس. قالت: «لا أظنك عادلاً مع بيل. هذا كلّ ما في الأمر. أعتقد أنّ أساس الزواج هو الحب المطلق بين الزوجين».

ـ كزواج أمك وأبيك؟

ـ هذا ليس عدلاً.

ـ حقاً؟

ـ على الأقلّ اغتنما الفرصة.

ثم بدت غاضبة وهي تتابع وتقول: «على الأقل حاولا ولم يحبسا نفسيهما خشية أن تصيبهما جرثومة الحبّ وتؤلمهما. نعم لقد تحابا وآلمهما هذا الحب كثيراً. لم تنعم أمي بزواج مثالي أو رائع لكنها أنجبت أربعة أولاد وعاشت حياتها. أحبّت والدي للغاية وعندما علمت أنها تحتضر لا أظن أنها كانت نادمة على شيء».

ـ سوى أنها تركتكم جميعاً بمفردكم.

أجابته بني روز بعزم: «حظينا بها لفترة من الزمن تكفي لكي نحبها ونفخر لكوننا أولادها. حتى مايكل يعرف الكثير مما اخبرناه عنها كما أنه يعلم كم كانت تحبه. هل تعتقد أننا كنا سنتخلى عن حبها أو لا نتقبله في بادىء الأمر لأننا كنا نعلم أنها ستموت؟ إذا كنت تخال ذلك حقاً، فإنك لا تتمتع ببعد النظر».

ـ لقد أحببت ليزا. حاول أن تحب بيل.

ـ لا أستطيع أن أحبها.

ها قد نطق بالحقيقة.

www.elromancia.com

ـ أنا متزوج منك.

أجابته بعقلانية: «لا. لست كذلك. لا يمكنك أن تكون متزوجاً من إحداهن عندما تفصل بينكما وسائد متراكمة يبلغ علوّها قدمين. فهذه الزوجة ترفض أن تتزوج على هذا الأساس. هذا ادعاء يا الستير».

ـ أنا... نعم.

ـ لكن أنت وبيل لا تتظاهران بشيء.

أجابها وقد بدا عليه الإرهاق: «لسنا بحاجة إلى ذلك، بيننا عمل».

فكّرت للحظة ثم اضافت: «أنت لا تدفع لها شيئاً بالمقابل».

ـ لا.

ـ وتنويان أن تنجبا أطفالاً؟

ـ ربما. نعم! سأحتاج إلى وريث.

أجابته برقة: «يا للوريث الصغير المسكين! آمل أن تغدق عليه مرغريت حباً تعوّض فيه ما ينقصه من حبّكما».

ـ أنا سأحبه.

ـ لا.

هزّت بيني روز رأسها والغضب ظاهر في نبرة صوتها: «كيف يمكنك ذلك؟ فهذا التزام أيضاً يعرّض استقلاليتك العزيزة إلى الخطر وأنت لا تريد ذلك».

ـ روز.

قاطعته بجفاء: «ادعى بيني روز... ماذا؟».

ـ هل من الممكن أن نخلد إلى النوم؟

أجابته قائلة: «كيف عساني أنام بعد أن أمضيت يوماً رائعاً للغاية وتعلّمت السباحة وشاهدت الدلافين وأنا الآن مستلقية على السرير الواسع إلى جانب أروع رجل قابلته في حياتي؟ هل تحسبني أقوى على

النوم؟».

خيّم الصمت وقال في سرّه: تباً! إنها تشعر مثلي تماماً!.

فقال: «أنا...».

قاطعته بحدّة قائلة: «سأصاب بالجنون. أمامنا سنة كاملة. من الأفضل أن تأخذني إلى قصرك وتحفر بعض الخنادق المائية في وسط القصر وتملأها بالتماسيح وتجلس أنت في ناحية وأجلس أنا في الناحية الأخرى لأن الأمر قد أفلت من يدنا».

حاول أن يخاطبها بعين المنطق، فقال لها: «روز، إذا كنّا عاقلين...».

عيّل صبرها وطفح الكيل. جلست على السرير، ومن خلال الضوء الخافت تمكّن من أن يرى الانفعال واضحاً في عينيها وهي تقول: «لماذا يجب علينا أن نكون عاقلين؟».

ـ روز...

كانت غاضبة، تكاد ترغي وتزيد.

فقالت: «حسناً سأقول لك الحقيقة. لم أرد القيام بهذا. لم أرغب في إخبارك ولكني لا أستطيع إخفاء هذا الأمر أكثر من ذلك. لا يمكنني أن ألتفّ على الحقيقة مثلك وكأني نعامة تخبىء رأسها في الرمال... لمدة سنة».

ـ لا أفهم قصدك.

لكنه كان يفهم.

ـ ألا تشعر بهذا الشيء بيننا؟

ـ لا.

ـ كاذب.

لم تقو على تحمل المزيد، فأخذت نفساً عميقاً وتفوهت بكلمات

www.elromancia.com

كانت قد عاهدت نفسها على ألاّ تتفوّه بها. ستقولها مهما كانت النتائج.

ـ أحبك يا الستير دي كاستالييه.

كانت حانقة عليه وعلى نفسها لأنها لم ترغب في كشف الحقيقة.

لكنها لم تعد تملك الخيار... كان قريباً منها للغاية. وكانت هناك تلك الوسائد اللعينة.

كرّرت قائلة: «أحبك. أعلم أنه غباء... غباء... ولكنك اخترتني وانتشلتني من حياة الفقر ثم أخذتني إلى باريس واشتريت لي الألبسة المثيرة التي تتمنى أي فتاة أن ترتديها ثم رفضت أن تنظر إليها. وأنقذتني من حادث السير وقدّمت لي أروع كلب على الاطلاق...».

حملقت فيه بغضب ورمت الوسائد بعيداً. كادت تضربه بها. ثم قالت بحنق وغيظ: «اصمت واصغِ إلي فقط. ثم جعلت من أخي اشبيناً لك ووقفت ببذلتك الرائعة وابتسمت لي وقطعت تلك العهود وقدّمت لي تلك الحجارة كهدية زواجي. تباً! لا بدّ من أن تكون أي فتاة في هذا الموقع غير طبيعية لتتجاهل هذا كلّه، أنا لست غير طبيعية. فأنا صدقاً أحبك بعمق، بجنون. ها قد قلتها، فتصرّف حيال اعترافي هذا كما تشاء يا صاحب السمو الغبي».

سمع حزناً في نبرة صوتها وهي تضيف: «لا تقلق بشأن الخطة المرسومة فهذا لن يغيّر في الأمر شيئاً. في نهاية السنة سأرحل كما وعدتك. ولكن عليك أن تعلم عمّا تتخلّى. لديك زوجة. قد لا أكون الزوجة التي كنت تنوي الزواج منها. لكنني زوجتك التي تحبك إلى درجة الألم، زوجتك التي وهبتك قلبها ولا تتوقع أن تأخذ شيئاً في المقابل».

كان لا بدّ من تلطيف الجوّ. فقالت: «ما عدا اعطائي درساً آخر في

السباحة غداً».

حدّق إليها الستير فاغراً فاه. أضافت: «أتوقع هذا بالفعل. هذا لا يعني أنّ شيئاً ما يجب أن يتغير ولكني فكّرت أنه يجب أن تعلم الحقيقة. وهي أني ملكك وحدك إذا كنت تريدني، أما إذا لم تكن ترغب بي فلا بأس، طالما سأسبح غداً».

راح الستير يحدّق فيها وهو يحاول أن يقول شيئاً... ولكن ماذا؟ لم يستطع التفكير بأي شيء.

* * *

www.elromancia.com

١١ ـ أميرتي

نام الستير على الشاطىء.

أو بالأحرى تقلّب واستبدّ به الأرق.

ترك زوجته نائمة في الكوخ حيث بدا كل شيء طبيعياً. عرف أنه لن ينعم أي منهما بالنوم إذا هو بقي هناك.

وهكذا خرج واستلقى على الشاطىء تحت ضوء القمر وراح يستمع إلى صوت الأمواج ترتطم برفق بالصخور. ساءل نفسه قائلاً: ماذا فعلت بحق السماء؟ إلى أين أنا ماضٍ؟

هي.. تحبه؟ مستحيل! مجرّد أوهام.

لم يكذب عليها أو يدّع شيئاً. كانت تعرفه..

عرفت ما رغبت في معرفته. الحب؟ سيذبل...

منذ وفاة والده وأمه تزداد وهناً وذبولاً. وحبه لليزا ضاع في لحظة...

أترى الحب عاد؟ روز هناك في البيت تنتظر زوجها. كل ما عليه عمله هو أن يقبل حبّها.

لكنه لم يملك القدرة على مبادلة هذا الحبّ لأنه يعرف أن العطاء يعني الألم. لم يستطع. بكلّ بساطة لم يستطع أن يعرّض نفسه لمثل هذا الألم مرة أخرى! سيكون من السهل جداً أن يضع حياته بين يديها

الطيبتين. ولكن أن يحب ويفقد... هذا طريق الجنون!

لذلك فهو أفضل حالاً تحت النجوم ولو استلزم منه البقاء هناك اثني عشر عشراً.

أتت بيني روز بحثاً عنه وعثرت عليه قبل بزوغ الفجر بقليل.

كان بين اليقظة والنوم وجسده الذي لم تتبينه جيداً كان مجرّد ظلّ على الرمال. انطلقت إلى الشاطىء بسرعة وكادت تقع فوقه.

ـ ألستير...

لم يلمح أي أثر للغضب كما في الليلة السابقة. وكشفت نبرة صوتها عن خوف، خوف حقيقي لا لبس فيه فسألها: «ما الأمر؟».

كانت لم تزل بغلالتها الجميلة التي ارتدتها في الليلة السابقة وكانت خصل شعرها متناثرة على كتفيها.

ـ قولي ما لديك.

ـ إنها أمك.

لقد اصيبت مرغريت بنوبة قلبية. فتمّ الاتصال بالهيئة الادارية في المنتجع واتى المدير إلى الكوخ لينقل لهما الخبر. فقالت له بيني روز: «زوجي... ذهب ليتمشى ويشهد بزوغ الفجر. أخبرني ما الأمر وأنا سأعثر عليه».

وهي الآن تنقل لألستير الأخبار التي أطلعها عليها المدير: «عادت مرغريت إلى باريس بعد يوم من زفافنا».

راحت تشرح له برقة: «يبدو أنها كانت تعاني من آلام في صدرها وقد ازدادت سوءاً. اخيراً أخذت موعداً مع طبيبها ولكن قبل أن تصل إليه أصيبت بنوبة قلبية حادة وهي الآن في قسم العناية الفائقة».

ـ سأذهب اليها.

قال الستير هذا وهو ينهض من مكانه. أما بيني روز فوقفت إلى

www.elromancia.com

جانبه على الفور وهي تقول:

ـ سأذهب معك.

لكن أفكار الستير كانت منصبة على أمه فقط، فقال لها: «سأعثر على المدير لأرى كيف يمكنني العودة إلى باريس على وجه السرعة».

الكلام عن العودة إلى باريس كان أكثر سهولة من تنفيذه.

فالمراكب البديلة التي تحمل الضيوف من داخل البلاد تتوقّف في الجزيرة مرة واحدة في الأسبوع، وإلاّ توجّب عليهم المجيء بواسطة الطوافة.

قال المدير معتذراً: «الطوافة معطلّة وأخشى ألاّ تكون جاهزة قبل يوم الخميس».

أخذ الستير نفساً عميقاً وقال: «أي بعد يومين. هل تعني أنه لا يمكنني مغادرة الجزيرة حتى ذلك الحين؟ أستطيع أن أدفع مالاً لقاء تأمين ذهابي على متن المركب».

ـ المركب يقوم بجولات حول الجزر ولن يرجع قبل يوم على الأقل. ولكن هل تأذن لي بتقديم اقتراح...

ـ أي شيء.

ـ إحدى الجزر الخارجية يملكها صيّاد متوحّد منعزل عن العالم. هو غريب الأطوار إلى حدّ ما، يعيش لوحده ولا يختلط بالناس. لكنه يملك طوافة خاصة به».

سأله الستير: «هل سيؤجّرها؟».

ـ ربما، ولكنها تتّسع لراكب واحد فقط.

ـ هذا جيّد؛ فسأسافر بمفردي.

جفلت بيني روز وقالت له: «ولكن... الستير، ذهابي معك

ضروري».

أجابها باقتضاب: «المكان لا يتسع، ولا حاجة لذلك أيضاً».

لم يكن بحاجة إليها. بدا التوتر على وجه بيني روز. ولكن مرغريت كانت مصدر قلقها.

اللعنة! كانت قلقة على الاثنين معاً. فإذا اصاب مرغريت أي مكروه ولم تكن بجانب الستير...

ـ ما زلت أود الذهاب.

أجابها مدير المنتجع معتذراً: «اخشى أنه ليس بمقدورك ذلك سيدتي، على الاقل ليس الآن!».

رفع سماعة الهاتف ونظر إلى الستير مستفهماً وقال: «إن الطائرة تقلع عند التاسعة هذا الصباح. هذا يعني أنه لدينا القليل من الوقت. فإذا قمتُ بترتيبات سريعة عاجلة، أستطيع تأمين ذهابك على متن الطائرة».

دمدم الستير قائلاً: «قم بذلك».

التفت ورأى بيني روز تراقبه وبدت...

بدت وكأنها صفعت وأصبحت خارج حساباته وكأنها تتوقع أن تصفع مرة اخرى وتطرد من حياته فقال لها الستير وقد رقّ صوته: «إخوتك سيعودون إلى استراليا يوم السبت وذلك عندما يصل المركب. لا يمكنك أن تقطعي الرحلة. أنت تعلمين بأنها العطلة التي لطالما حلموا بها. وكذلك الأمر بالنسبة لك».

مرّر يده على طول خدّها قاصداً أن يطمئنها وقال لها: «استمتعوا بوقتكم. وعودي عندما يغادرون».

ـ أنت لا تريدني.

ـ لا... أحتاج إليك.

www.elromancia.com

وانتهى الأمر عند هذا الحد.

* * *

ـ بيل؟

ـ ألستير.

في باريس كانت الامسية في بدايتها عندما اتصل الستير ببيل، بينما كان جالساً في قاعة المغادرين. ردّت على الهاتف لدى سماعها الرنّة الاولى. كانت هناك حفلة ما دائرة سمع أجواءها عن بُعد واستطاع أن يسمع ضحكاً وأصواتاً مرتفعة.

ـ الستير، ما الأمر؟

أخبرها ما حدث باختصار. فهلعت وقالت: «آه الستير، هذا رهيب يا حبيبي المسكين...».

لم يكن يريد الشفقة، فهذا آخر ما يرغب فيه. كان يريد مساعدة ملموسة. فقال لها: «بيل تعلمين أنه ليس لدينا أقارب في باريس وعمتي الوحيدة في يوركشير، وهي ضعيفة جداً ولا تقوى على السفر. يلزمني أربع وعشرين ساعة لكي أصل إليها. أرجوك! هل يمكنك الذهاب إليها؟».

ـ تعني أن أزورها في المستشفى؟

أجابها بامتنان: «نعم. بيل، أعلم أني أطلب منك الكثير، ولكن هل يمكنك البقاء معها حتى أصل؟ لا أستطيع تحمّل فكرة وجودها بمفردها، وكونها تتألم».

ـ طبعاً سأذهب يا حبيبي.

سمعها تتوقف عن مكالمته لتتحدث مع احد ما بقربها. ثم عادت لتقول له: «آسفة لذلك! اللعنة على الزبائن. قل لي اسم المستشفى حيث هي وحالما يغادر ضيوفي سأذهب اليها».

ـ ألن تذهبي الآن؟

ـ ألستير، هؤلاء زبائن مهمون.

شتم الزبائن بطريقة فظة للغاية، فلم تُقدَّر له ذلك وأردفت قائلة: «الستير، لا حاجة لأن تكون فظاً. سأذهب حالما أستطيع».

هذا كان كل ما يمكنه القيام به.

بعد عشرين دقيقة، اقلعت الطائرة من المطار الدولي وأخيراً غادر الستير المكان. حدق الستير إلى البحر الفيروزي اللون في الأسفل وتخيل زوجته روز، وهي تتمرن على السباحة.

واسترسل في تفكيره: سيشتاق لرؤيتها. فجأة، أصبحت الفكرة لا تحتمل. حدّق إلى الماء تحته مرغماً نفسه على المراقبة مع أن المسافة كانت بعيدة للغاية.

لكنه ظل ينظر لفترة طويلة جداً...

ولكن بيني روز لم تكن تسبح. عندما أقلعت الطوافة التي تقلّ الستير من البر الرئيسي، جلست تراقبها حتى تلاشى صوتها.

لقد قال لها: «امضي وقت ممتعاً».

كيف يمكنها القيام بذلك ومرغريت قد تكون على فراش الموت؟

الرحلة كانت لا متناهية وكل مرحلة بدت دهراً. أما النوم فكان مستحيلاً. حين وصل الستير إلى المستشفى، كان قد تخطى مرحلة التفكير المنطقي. لقد مضى الكثير من الوقت. ماذا لو...؟ لم يكن باستطاعته أن يتحمل الفكرة...؟

على الأقل بيل معها. فإذا حصل سوء، فلن تكون والدته بمفردها تماماً.

ولكن، الحمد لله لم يحصل الأسوأ.

قالت له الطبيبة المناوبة عندما رأت وجهه الكئيب من شدة التوتر

www.elromancia.com

وهي تحاول أن تطرد مخاوفه بعيداً: «أصيبت بنوبة قلبية خفيفة وهي لا تزال على قيد الحياة. يجب أن تكون على ما يرام».

ـ يجب؟

دخل في صلب الموضوع مباشرة: «لمَ قلت يجب؟».

ابتسمت له ابتسامة لم تطمئنه كثيراً وقالت: «النوبة بحدّ ذاتها لم تحدث ضرراً دائماً ولكن كان علينا اجراء عملية لها. فأحد الشرايين أصبح ضيقاً جداً بحيث لا يسمح بمرور الدم بشكل سليم. أرادت أن تنتظر حتى تحضر أنت ولكننا لم نجرؤ على الانتظار. في الواقع هي الآن في غرفة العمليات الجراحية».

رقّ صوت الطبيبة وهي تحاول أن تخفّف من حدة توتره: «هي تخضع الآن لعملية فتح الشريان التاجي؛ ونحن نأمل أن تتخطى الأزمة وتتكلل العملية بنجاح كبير».

نظر الستير إلى وجه الطبيبة بعينين ثاقبتين متسائلاً: «ولكن.. من الممكن ألاّ تنجو؟».

ـ أمك في السبعين من العمر، وكانت مريضة. وهذه عملية خطيرة. هناك دائماً احتمال أن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

ـ من المحتمل أن تموت أثناء العملية؟

ـ نعم.

أجابته الطبيبة بصراحة متناهية وأضافت: «هذا احتمال وارد. ولكن جميع العوامل تجعلنا نأمل بأنها ستنجو».

ـ ليتني كنت هنا قبل أن تدخل.

اجابته الطبيبة: «لم يكن بامكاننا الانتظار. أنا آسفة».

رفع الستير يديه ومرّرهما على شعره ثم أغمض عينيه وقال: «على الأقل، بيل كانت معها».

إذا كانت أمه في غرفة العمليات فما عساه أن يفعل سوى أن يذهب ليرى بيل. فقال للطبيبة: «اين تنتظر؟».

ـ بيل؟

ـ صديقتي... صديقتنا.

وعندما رأى الطبيبة مشوشة، وقد التبس الامر عليها، أخذ يشرح لها الوضع قائلاً: «لا بد أن بيل في مكان ما هنا. لقد اتصلت بها».

نظر إلى ساعته وأضاف: «قبل أربع وعشرين ساعة».

ـ حسب علمي لم يكن هناك أحد مع أمك.

صمت لبرهة قبل أن يقول: «أنت تمزحين».

ـ لقد أمضيتُ وقتاً طويلا مع أمك. فأنا هنا كطبيب مناوب في قسم العناية بالامراض القلبية منذ اثنتي عشرة ساعة.

لم يستطع أن يصدق: «بيل قالت إنها ستأتي».

أجابته بلطف: «ربما طرأ شيء ما».

وهي الأخرى ألقت نظرة على ساعتها. لقد انتهى وقت حديثها مع الستير فقالت له: «أمامنا ساعتان قبل أن تخرج أمك من غرفة العمليات. هل أدلّك على مكان للانتظار أم تفضل ايجاد فندق تستعيد نشاطك فيه وتعود عند انتهاء العملية».

أجابها بتجهّم: «سأنتظر. بالتأكيد سأنتظر».

انتظر لمدة أربع ساعات؛ وطال الوقت والعملية لم تنته. وراح الستير يذرع ردهة الانتظار جيئة وذهاباً.

دخلت الطبيبة فجأة لتجده حيثما تركته وقالت له: «هناك بعض التعقيدات والعملية سوف تستغرق وقتاً أكثر مما كان متوقعاً».

قال وهو يئنّ حزناً: «لن تنجو من العملية».

نظرت إليه الطبيبة وقالت له آمرةً: «اجلس. سأطلب من الموظفين

www.elromancia.com

إحضار بعض السندوشات والقهوة لك».

ثم أضافت بعد لحظة تفكير: «هل هناك أي شخص تريدنا أن نتصل به؟ ذكرت اسماً من قبل. . . بيل؟ هل تريدها أن تكون معك؟».

ـ كلا!

وفجأة أصبح متأكداً من كلامه. كما كان متأكداً من هوية الشخص الذي أراده فعلاً أن يكون بجانبه.

أراد بيني روز، حبيبته.

أرادها بشدة وكأنما قلبه كان مجروحاً كقلب أمه.

وصلت بيل بعد نصف ساعة، منطلقة بسرعة ومرح نحو غرفة الانتظار وذراعاها مليئتان بالأزهار وكأنها تزور امرأة أنجبت طفلاً للتو. بدت رائعة، أنيقة، كاملة ببذلتها السوداء التي لا شك أنها كلّفت مبلغاً كبيراً، وشعرها المصفّف بإتقان. هذا ما أعجبه فيها ودفعه ليتزوجها.

إذاً لماذا عندما صاحت فرحاً ووضعت الأزهار جانباً وسارعت لكي تعانقه لم يشعر بشيء تجاهها؟ لا شيء على الاطلاق.

بدت وكأنها لعبة جميلة ولكن خاوية من الداخل. لم تلاحظ ردّة فعله. فقالت له: «آه الستير، لا بد أنك قضيت أوقاتاً عصيبة للغاية. يا حبيبي المسكين».

أعطته قبلة خفيفة ثم ابتعدت عنه مبدية امتعاضها وهي تقول: «لم تحلق ذقنك يا حبيبي».

لم يفعل ولم يكترث البتة للأمر.

قال بروّية: «هل قضيت أربعاً وعشرين ساعة لتقرّري ماذا سترتدين لزيارة المستشفى؟».

بدت مذهولة وهي تسأل مستوضحة: «عذراً؟».

أمّا قلق الستير المكبوت فقد تفجّر غضباً شديداً وقال لها: «أين

كنتِ بحق الجحيم؟ طلبت منك المجيء. كنتُ بحاجة ماسة لأحد كي يكون إلى جانبها. ماذا كنت تفعلين؟».

ـ حبيبي، علمت أنك لن تتمكن من المجيء قبل الآن.

ـ طلبت منك أن تأتي لرؤية أمي وليس لرؤيتي أنا.

الذهول لم يفارق محيّاها وكأن فكرة قضاء وقت مع امرأة مسنّة بدت منافية للمنطق وقالت: «لقد اتصلت».

ـ اتصلت؟

ـ بالطبع اتصلت.

كانت بيل تدافع عن نفسها وهي غاضبة بدورها، فلم تكن ممّن يتحمّلون النقد. أضافت: «قالت لي الممرضة إنها بحالة جيدة وإنها ستخضع لعملية جراحية. لم يكن من داعٍ لحضوري أثناء إجرائها فحوصات ما قبل العملية. كنت سأجلس في الغرفة وأنتظر فحسب».

تخطى الستير مرحلة الغضب فاصبح بارداً وجافاً ومتعباً للغاية، فقال لها: «صحيح. يا لها من مضيعة للوقت. إذاً، بالطبع عندما ذهبت إلى غرفة العمليات، لم يكن هناك أحد إلى جانبها».

ـ كان الأطباء برفقتها.

أخذ نفساً عميقاً وتكلم بغضب وهو يعلم ما عليه قوله: «الأمر مختلف يا بيل. لم يكن معها أحد يحبها. هذا امر مهم».

ـ أنا لا. . .

ـ أنت لا تحبين أمي؟ بالطبع لا.

أومأ برأسه وقد كان التعب والارهاق يتزايدان مع الوقت وأضاف: «كان علي التفكير بذلك».

عاتبته بلطف قائلة: «أنا مولعة بمرغريت. ألستير أنت مرهق ولا تفكر بشكل صحيح».

www.elromancia.com

ـ ربما أنا كذلك.

أخذ الأزهار من على الطاولة وأعادها إليها وهو يقول: «الحب... مهم. لم أدرك ذلك حتى الآن، ونحن لا نملكه يا بيل».

ـ ماذا...؟

أجابها بتجهم: «لم نملكه قط وأنا أريده. أريده من أجل أمي وأولادي... ومن أجلي أنا ولن أجده معك؛ لذلك...».

أخذ نفساً عميقاً وتابع: «أنا آسف يا بيل ولكن هذه هي الحقيقة. لقد نظّمت حياتي كما لو أنها عمل ما، لكنها ليست كذلك. منذ وفاة ليزا...».

ـ الستير. أنا أفهمك.

أضاف بكآبة: «أنت لا تفهمين. بعد وفاة ليزا ظننت أنه يمكنني أن أحيا دون حب؛ لأنني لم أكن أعرف ما هو الحب. ليزا وأنا كنّا أعزّ الأصدقاء. وموتها كان موجعاً. ربما لو تزوجنا لأحببنا بعضنا، وربما لا. كل ما أعرفه هو أنني عندما أقسمت على ألاّ أحب أبداً، لم أكن أدرك ما كنت أتحدث عنه. أمّا الآن فبلى».

لم تفهم كلامه بعد فقالت: «حبيبي، أنت مرهق».

وافقها الرأي قائلاً: «نعم، أنا مرهق وربما كان عليّ أن اكون مرهقاً منذ زمن طويل. خذي ازهارك يا بيل. أنا آسف إذا غيّرت مجرى حياتك ولكن لا مستقبل لنا، أنت وأنا. خذي أزهارك وانصرفي».

ضاقت عيناها غضباً وهي تقول: «الستير، بحق السماء. إذا استطاعت تلك الفاسقة الصغيرة أن تشدك اليها...».

قاطعها ساخطاً: «إذا كنت تتحدثين عن زوجتي، فأنا انصحك بأن تكوني حذرة جداً في كلامك. هذه الصفة لا تنطبق عليها لا من بعيد ولا من قريب».

أخذ نفساً عميقاً وأضاف: «زوجتي هي حبيبتي».

خرجت مرغريت من غرفة العمليات بعد ذلك بساعتين، وكان الأطباء لا يزالون يجهلون ما إذا كانت ستنجو أم لا.

جلس ألستير مسمّراً بجانب سريرها يستحثها بشعوره وبأفكاره على أن تستمر بالتنفّس. ساعة بعد ساعة كان الممرّضون والأطباء يدخلون ويخرجون وهو بالكاد يلاحظهم. كلّ ما كان يراه هو أمه وكلّ ما كان يفكّر به هو أمه.

أو ربما لم يفكّر بها فقط، لأن حاجته الملحّة والشديدة لبيني روز لم تفارق ذهنه ابداً.

لماذا يدعوها بيني روز في أفكاره؟

قالت له إنها تحبه... تباً!

جلس يراقب والدته ولكن أثناء تلك الليلة الرهيبة قبع يفكر في زوجته.

ومع بزوغ الفجر، فتحت مرغريت عينيها وابتسمت قائلة: «الستير».

كانت همسة خافتة وضعيفة. لكنها كانت هناك واعية وعلى قيد الحياة. وبان فرحها في صوتها وهي تقول: «ماذا... ماذا تفعل هنا؟».

ـ أتيت لكي أكون معك.

ـ ولكن...

فكرت بذلك ملياً وأضافت: «يجب أن تكون مع زوجتك».

كان كلامها قريباً جداً لما كان يدور في خاطره، ما افقده توازنه فأجابها: «تعلمين أن هذا الزواج زائف. بيني روز ليست زوجتي».

ـ بكل تأكيد هي كذلك.

www.elromancia.com

شدّت مرغريت على يده بكل ما تبقّى لها من قوة وأضافت: «هي تحبك كما أحببت أنا والدك. حتى أنها تحبك أكثر مني...».

واغمضت عينيها ونامت... وتركته يتساءل.

أخيراً اقتنع بأن يأخذ قسطاً من الراحة. كانت حالة مرغريت مستقرة ونفسها منتظماً، وقال الطبيب إنه من الأفضل أن تنام جيداً لبضع ساعات، وإن ما من داعٍ للقلق.

إذاً... عليه أن يحلق ذقنه ويغتسل وينام.

قالت له الطبيبة المسؤولة: «ولكن ربما من الأفضل أن ترى صديقتك قبل أن تنصرف».

قطّب جبينه وأجاب: «صديقتي؟».

ـ إنها في ردهة الانتظار. تقول إنك قد لا ترغب في رؤيتها... وإنه لا داعي لازعاجك. ولكنها تنتظر منذ فترة ليست بقصيرة، ربما سبع أو ثماني ساعات. تبدو قلقة كما بدوت أنت تماماً. كنت على وشك أن أرسل لها أحداً يخبرها أن لدى أمك فرصة كبيرة في الشفاء ولكن إذا كنت ترغب في أن تطلعها على الأمر بنفسك...

لم يجد الستير أي معنى لما تقوله الممرضة فسألها: «بيل تنتظر هنا؟».

ـ هذا هو اسمها؟ لم تقل لنا شيئاً. ستجدها في الصالة.

فنزل إلى الصالة وفي غرفة الانتظار كانت بيني روز. ولبرهة، لم يقل شيئاً... وقف يحدق فيها وكأنه يرى شبحاً. كانت غرفة الانتظار خاوية في مثل هذه الساعة المبكرة. وكانت بيني روز جالسة بمفردها وعيناها مسمّرتان على الباب وهي تنتظر.

عندما ظهر الستير، نظرت إليه دون أن تنبس ببنت شفة. كانت عيناها متسائلتين ومرتعبتين وأيقن بوجع شديد أن اهتمامها لا ينصبّ

عليه، ليس في تلك اللحظة.

بخلاف بيل التي اتت إلى المستشفى لكي تقابل الستير، فإن مرغريت هي كل ما كانت بيني روز تفكر فيه. هذا ما كانت تبحث عنه في عينيه: مصير مرغريت. وعرف أن وجهه بدا منهكاً يدل على اسوأ الانطباعات.

ولكنه لم يستطع الابتسام مهما حاول إلى ذلك سبيلاً. كل ما استطاع التفكير فيه هو كونها هناك. إنها حبيبته... سيطرت عليه هاتان الفكرتان بقوة غامرة. كيف كان أحمق إلى حد أنه لم يكن يعي ذلك؟ كيف فكر أنه ليس بإمكانه أن يحب؟

ها هي هنا عروسه الرائعة. زوجته! فقال بصوت هامس ضعيف: «بيني روز...».

وبصوت ينم عن الأسى والخسارة البائسة المحضة قالت: «آه، الستير...».

ودفنت رأسها بين يديها وأغمضت عينيها وهي تقول: «آه... لا».

لم يعد يحتمل أكثر من ذلك. اجتاز الغرفة بلمح البصر وركع أمامها وأمسك بيديها ورفع أصابعها عن عينيها المبللتين بالدموع وجعلها تنظر إليه، وهو يقول لها: «كلا، بيني روز! هي على ما يرام. هي بحالة جيدة».

ثم ابتسم وأضاف: «حبيبتي، لم اقصد أن أخيفك ولكن ذلك لأني لم أحلق ذقني أو أنم. إنها تتعافى. لقد أجريت لها العملية وتم اصلاح الشرايين المصابة. لقد استفاقت وتحدثت إليّ وتركتها كي تنام».

حدّقت فيه وقد مزّقها الشعور بالأمل وعدم التصديق لما يجري.

قالت له: «تعني أنها... ستعيش؟».

- نعم.
- أنت متأكد؟
- بالطبع وإلا لما تركتها.
- آه، الستير.

لم تعد تتمالك نفسها. وضعت ذراعيها حول عنقه وأخفت رأسها في كتفه واجهشت بالبكاء.

لم يدعها تبقى هناك. لم يتمكن من الانتظار أكثر من ذلك. أبعدها عنه ونظر إلى وجهها الغارق بالدموع وابتسم لها ابتسامة حوت أحاسيس الرقة والسحر والحب اللامتناهي.

وقال لها برقة: «بيني روز. يا حبيبتي».

وعانقها بشعور عميق وعد بأن يستمر إلى الابد.

لقد نطق العناق بكل شيء. بيني روز كانت بين ذراعي زوجها، وليس بإمكان أي قوة على الأرض أن تنزعها منه. وقال لها: «كيف استطعت القدوم بحق السماء؟».

- إنه السحر.

ابتسمت له فضحك قائلاً: «أعلم. إنه يشبه الأساطير. ولكن حقاً...».

- سأتكلم بجدية... أدرك مدير المنتجع كم كنت متلهفة للذهاب، فاتصل بصاحب الطوافة المنعزل واستخدم كل ما لديه من سحر لاقناعه. وعندما أوصلني إلى المطار، سافرت على متن الطائرة المتوجهة إلى سيدني ثم إلى سنغافورة وبعدها إلى باريس. قد أكون وصلت بعدك بخمس أو ست ساعات.

نظر إليها مدهوشاً: «لا بد أنك متعبة جداً».

- ليس أكثر منك.

ودنت منه متلمسة الدفىء والحماية والشعور بالاستقرار والفرح.

- ولكن لماذا جئت؟ كنت تتوقين إلى أخذ عطلة.

- هل تعتقد أني رغبت في العطلة أكثر من أن أكون هنا... معك؟

ثم أضافت بسخط: «ومع مرغريت. لو حصل أي مكروه لمرغريت وأنا لست هنا..».

- من أجلي؟

نظرت إليه بيني روز وقد بدت جادة إلى أقصى حد. وأجابته: «من أجلك، ولكن الستير، أنا أحب أمك».

أجابها برقة: «هذه ميزتك، تعطين وتعطين وتعطين».

حيّرها كلامه فقالت له: «لا أملك شيئاً لأعطيه».

- وهل لدي أنا ما أعطيه؟

بدا صوته ميّالاً إلى الشك أو بالأحرى الغضب إذ أضاف: «المال والثراء والسلطة... بكل تأكيد. أنا أملك هذا كله. أملك الكثير لأعطيه ولكني لا أملك ما هو أهم من ذلك كله... الحب».

- ولكنك لا تستطيع..

- لم أستطع.

وعانقها ثانية.

رائحتها، لمستها... كانت كالبحر والسماء والجنة، تجمعت كلها في شخص واحد. كيف كانت تفكر أنه سيتركها ترحل بعد عام؟ كيف استطاع أن يفكر أنه باستطاعته الابتعاد عنها لمدة سنة؟

قال لها: «الآن بإمكاني أن أحب».

وفي صوته بدا فرح الصباح كله وأضاف: «لقد تعلمت. كان لدي أفضل معلمة. آه روز. بيني روز».

تلبّد وجهها بعض الشيء من جراء الذكريات التي ارتبطت بهذا

www.elromancia.com

الاسم وقالت له: «بيني روز؟».

فقال: «كنت غبياً بالفعل وأنا احاول أن اجعل منك شخصاً آخر. ولكن بيني روز، هكذا، قابلتك لأول مرة. كنت متسخة ولكنك كنت تسخرين منا وجعلتنا ندرك أن قيمك ليست قيمنا عندما قلت لي بأن أي زواج غير مبني على الحب، هو زواج أحمق».

شدها نحوه وأضاف: «وهكذا فإن روز أميرة. أميرتي روز ولكن بيني روز هي المرأة التي أحبها أكثر من حياتي».

نظرت في عينيه لفترة طويلة للغاية ثم تنهدت بفرح غامر وقالت له برقة: «ليكن اسمي بيني روز، وسأكون بيني روز في كل الأوقات».

ـ أتعنين أنك تفضلين أن تكوني المرأة التي أحب على أن تكوني أميرة؟

ـ أفضل أن أكون المرأة التي تحب على أن أكون أي شيء آخر في الحياة.

أجابها بابتهاج: «ليكن الأمر هكذا من الآن فصاعداً؛ لأنّ هذا ما أنت عليه بالضبط».

وضمها اليه وقبّلها... لوقت طويل جداً.

* * *

خاتمة

يوم زفافي.. يوم زفافي الحقيقي سيقام احتفال لنا يضم فقط الكاهن والستير وأنا وليو لأننا نريده أن يكون زفافاً حقيقياً. ستحضره مرغريت ومصوّرنا ليكونا شاهدين على الزواج. ولكن لن يكون هناك أي شخص آخر.

زواج حقيقي وشرعي... إنه لأمر غريب كيف أنني الآن أكثر توتراً مما كنت عليه في السابق في الاحتفال الكبير. لن يكون هناك سترة مخملية لليو اليوم، ولن يكون هناك أثواب زفاف فاخرة. نحن نرتدي الجينز ونمشي حافيين على الشاطىء في جنوب فرنسا حيث لا يعرفنا أحد وحيث يستطيع أحدنا أن يحظى بالآخر لكي نتمكن من الانفراد ببعضنا البعض، نحن فقط...

الآن وإلى الأبد.

ـ هل تقبل بهذه المرأة زوجة لك وأن تعيشا إلى الأبد حسب ناموس الله؟ هل ستحبها وترعاها وتكرّمها وتحفظها في المرض والعافية وتتخلى عن سواها وتكون لها وحدها ما دمتما على قيد الحياة؟

أجاب الستير: «نعم».

ـ وأنت يا بيني روز هل تقبلين بهذا الرجل...؟

ـ نعم.

www.elromancia.com

ردّدت مرغريت: «آمين».

وقد شفيت تماماً ووقفت بفخر واعتزاز كونها شاهدة على زواجهما.

أمّا مصورهما الوحيد الذي طلبا منه أن يسجّل الحدث لأولاد احفادهما فقال: «باركّكما الله. ليمنحكما السعادة والنجاح اللذين منحتماني إياهما».

وعلى هذا النحو سارت الأمور.

* * *

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة